مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

جائزة متميزة... وعطاء مستمر

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والعشرون : العدد الثامن والثمانون ـ صفر ١٤٣٦ هـ / كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٤ م

عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لابن الجزري:
محمد بن محمد بن محمد العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي شمس الدين، أبو الخير ٨٣٣هـ.



Iddatul Hisnil Haseen Min Kalami Sayyidil Mursaleen By. Ibn al-Jazari,
Mohammed bin Mohammed al-Dimashqi al-Shafiee, d. 833 AH.

٨٨
آفـاق الثقـافة والتـراث
السنة الثانية والعشرون : العدد الثامن والثمانون - صفر ١٤٣٦ هـ / كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٤ م
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين

للشيخ عمر بن سعيد الفوتي

تذكرة
الغافلين
عن قبح
اختلاف
المؤمنين

تحقيق

د. آدمَ بمبا

جامعة ملايا - ماليزيا

القسم الأوَّل: مقدِّمات

أوَّلاً: مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي المبعوث رحمةً للعالَمين. أما بعد:

فهذا تحقيقٌ لمخطوط صغير الحجم، عظيم الشَّأن، موسوم بـ «تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين»، للشَّيخ عمر بن سعيد الفوتي مؤسِّس دولة الإسلام بالسُّودان الغربيِّ في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. تنبع أهمِّية هذا المخطوط في معالجته للخلاف الذي نشب بين الزَّعيمين المسلمَين: السلطان محمد بن عثمان دان فوديو، والشَّيخ محمد الأمين الكانمي، خلافًا كاد يهدِّد الوجود الإسلاميَّ بمنطقة السُّودان الأوسط آنذاك، ويُنذر بذهاب ريح المسلمين وبإضعاف شوكتهم؛ لأنَّه وصل إلى المواجهة المسلَّحة؛ لذلك، فإنَّ هذا المخطوط الذي تضمَّن منظومة وجَّهه الشَّيخ الفوتي إلى الزَّعيمَين العالِمَين للصُّلح بينهما، وكان جدّ محايدٍ في عتابه لهما، وتذكيره إيَّاهما بأهميَّة وحدة الصَّف الإسلاميِّ، قد كتب الله له التَّوفيق؛ فنجح الشيخ الفوتي في مسعاه، ووضعت الحرب أوزارها، وبادر الزَّعيمان إلى الصُّلح، ووجَّه الكانمي خطاب شكر إلى الفوتي يشكره فيه على مبادرته الطَّيبة[1]. هكذا، فإنَّ أهميَّة هذا المخطوط تتجدَّد مع الزَّمن؛ إذ يشهد المجتمع المسلم -مع الأسف- خلافاتٍ ونزاعاتٍ داخليَّة كثيرة دون أن تكون هناك بوادر ونوايا حسنة لحلِّ تلك النِّزعات، وإذا ما استصحبنا التُّهم الجاهزة ضدَّ المسلمين؛ بوصفهم مصدر النِّزاعات في وقتنا الحاضر، فإنَّ أمثال هذه الأعمال لَشهادات تاريخيَّة قويَّة في نسف تلك التُّهم الملصقة بالمسلمين.

إضافةً إلى ذلك، فإنَّ هذا المخطوط يعدُّ وثيقة تاريخيَّة تركها صاحبها كلمةً باقيةً في عقبه؛ لتفنيد كثيرٍ من مزاعم مناوئيه المستعمرين، والمؤرِّخين غير المنصفين، ممَّن رسموا صورةً سلبيَّة عن الشَّيخ وعن حركته الجهاديَّة، ويكفينا عنوان كتاب مستفزٍّ في هذا المقام، وهو: «الشَّيخ عمر تال: النَّبي المسلَّح»[2]، ودعم هذا العنوان بغلافٍ عليه رسم شيخ بجبَّة واسعة، ولحية كثيفة، ووجه مخيف للغاية، وبيده سُبحة طويلة وبندقيَّة! إنَّ هذا المخطوط يعطينا صورةً أخرى عن صاحبه، خلافًا لما رُسم عنه، بل إنَّه يعطينا مفاتيح وحلولاً لخلافاتنا الحاضرة.

(1) A.O.F., Dakar 15G79, no.85. See: Hunwick, John. Arabic Literature of Africa, Vol.4, p221.

(2) Cheick Oumar Tall: Le Prophete arme, Emile Ducouray et Ibrahima Baba Kake, (Paris : CLE, 1975).

١ـ المؤلِّف النَّاظم:

هو الشَّيخ عمر بن سعيد بن عثمان بن مختار بن علي الفوتي الطُّوري الكِدِوي، ولد ببلدة حلوار بمنطقة فوتا-تُورو جنوبيَّ السِّنغال الحالية نحو (عام ١٢١٠هـ/١٧٩٤م)، وهو من أسرة وعشيرة علميَّة مشهورة بالمنطقة، درس على والده وعلى إخوته الكبار، وزوج أخته الشَّيخ الأمين ساكو الذي وُصف بأنه كان حاذقًا في علم النَّحو والعربيَّة، وتفيد المصادر التَّاريخيَّة بأنَّه درس في المحاضر العلميَّة المنتشرة آنذاك بمنطقة فوتا-تُورو، ومن ثمَّ خرج منذ سنِّ الخامس عشرة إلى محاضر فوتا-جالونْ في أقصى الجنوب الغربيِّ من بلاد غرب أفريقيا، ومن أساتذته هناك الشيخ عبد الكريم الناقل، ولم يطل به العهد هناك أنْ أصبح معلِّمًا، مقرئًا.

٢ـ رحلته للحج:

في حوالي عام (١٨٢٥م) خرج الفوتي لرحلة الحجِ، وعمره حوالي (٣١) عامًا، وهي رحلة أفاد منها الفوتي كثيرًا بزيارته للحواضر العلميَّة آنذاك على امتداد طريق الحجِّ المخترقة لبلاد السُّودان الغربي في بوبو جُولاسُو، وفي كبُونْغ، وصُكوتو.. ووقف -عن كثب- على كثيرٍ من أحوال المسلمين بالمنطقة.

في مصر التقى بكثيرٍ من علماء الأزهر، وأفاد من الجوِّ العلميِّ والثَّقافيِّ فيها، وفي مكَّة بعد أن أدَّى فريضة الحجِّ، اجتمع بأستاذه أحمد الغالي، أحد تلامذة أحمد التِّيجاني، فتتلمذ عليه وعلى عدد من علماء الحرمَين لمدة ثلاث سنوات، وحصل على إجازاتٍ عدَّة، كان أهمُّها إجازة شيخ الغالي له.

بعد الحج، عاد الشيخ الفوتي إلى بلاد السُّودان، ونزل بصكوتو ومكث بها سبع سنين (١٨٣١-١٨٣٧م)، وكانت الخلافة الإسلاميَّة بصكوتو آنذاك فتيَّة، شارك الشيخ الفوتي في مجريات الحكم فيها، وفي قيادة الجيوش المجاهدة، كانت تلك الفترة أخصب فترات حياته في تكوينه وإعداده القيادي، وتوثيق العلاقات الاجتماعيَّة بينه وبين صكوتو، فأصهر إليه السُّلطان بللو وزوَّجه إحدى بناته، وبوفاة السُّلطان بللو، غادر الشَّيخ الفوتي صكوتو إلى مسقط رأسه بفوتاتورو.

٣ـ دعوته وجهاده وتأسيسه الدَّولة الإسلاميَّة:

نزل الشَّيخ بمنطقة فوتاجالون، فأكرم وفادته أميرها الإمام بكَر، ومنحه أرضًا، ومكث الفوتي بتلك المنطقة حوالي عشر سنوات للدَّعوة والتَّدريس وتكوين الأتباع، وهي الفترة التي ألَّف فيها الكثير من كتُبه، وكانت فترة علميَّة بامتياز، عُرفت بـ«سِنِّي الألواح الخشبيَّة»، إشارة إلى الألواح التي تكتب عليها الدُّروس في المحضر العلمي[1].

بظهور أمر الشَّيخ الفوتي، وكثرة أتباعه، وهجرة النَّاس إليه؛ ساءت علاقاته بالزُّعماء الوثنيِّين وفي عام (١٨٤٩م)، هاجر مع طلبته إلى منطقة دنغراي، وبها أسَّس دولته الإسلاميَّة التي عُرفت بمملكة تُوكولور، وكانت أكبر مملكة بمنطقة السُّودان الغربي آنذاك. وقعت حروبٌ كثيرة بين الشيخ الفوتي وزعماء مملكة

(1) John H. Hanson, "Islam, Migration and the Political Economy of Meaning: Fergo Nioro from the Senegal River Valley, 1862-1890", The Journal of African History, Vol. 35, No. 1 (1994), p46.

سيغو الوثنيَّة وغلبهم جميعًا، واستحوذ على مملكتهم في رمضان عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٤م)، تحالفت قوى كثيرة ضدَّه بقيادة الشَّيخ أحمد البكائي الكنتي، وحاصرته فلجأ إلى كهف، وحين داهمته القوات، سُمِع دويٌّ انفجار كبير، ولم يُر للشَّيخ ولا لمن كان معه هناك أثرٌ بعد ذلك(١).

٤ـ آثاره العلميَّة:

للشَّيخ الفوتي مؤلَّفات كثيرة من كُتُب ورسائل قصيرة، وأشعار ومنظومات تربويَّة في التَّصوُّف وتزكية النَّفس، وتعليميَّة كثيرة، ومعظم نتاجه العلمي أشعار، من كُتبه:

رماح حزب الرَّحيم على نحور حزب الرجيم، أكمله في رمضان (١٢٦١هـ/١٨٤٥م).

كتاب سيف الحق أو: بيان ما وقع بيننا وبين أمير ماسنة أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد لوبو.

المقاصد السنية لكل موفَّق من الدعاة إلى الله أو: فيما يجب على الداعي إلى الله من الراعي والرعيَّة.

هداية المذنبين إلى كيفية الخلاص من حقوق الله وحقوق العباد أجمعين.

وفي هذه الكتب تنظير لمفهوم الهجرة ووجوبها في بلاد السُّودان، والعلاقة بين «دار الإسلام»، و«دار الكفر»، وأحوال المسلمين فيها، والقضايا المتعلقة بالجهاد وأحكام الولاء والبراء، وفقه الدَّعوة، وما إليها من النَّوازل التي كانت ببلاد السُّودان الغربي آنذاك.

من منظوماته ودواوينه الشَّعرية:

أرجوزة في العقائد.

تذكرة الغافلين أو منظومة في إصلاح ذات البين أو: تذكرة المسترشدين وفلاح الطالبين، وهي في (٢٠٦) أبيات، أكملها في الرَّابع من شوال، عام (١٢٤٤هـ/ ٩ أبريل ١٨٢٩م)، وهي النُّسخة المطوَّلة «لتذكرة الغافلين»، وبها مقدمة وتعليقات.

سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، وهي تعشير لديوان القصائد العشرينيات للفازازاي.

قصائد في المديح النبوي.

القسم الثاني: المخطوط

١- وصف المخطوط:

بما أنَّنا لا نملك إلا نسخة إلكترونيَّة من المخطوط، فإنَّ الكثير من خصائص هذه المخطوطة الكوديكولوجيَّة يصعُب رصدُها رصدًا دقيقا أمينًا. عليه، نكتفي هنا بعرض ما استيَسَر ذكرُه من أوصافٍ عامَّة لهذه المخطوطة.

(1) Hunt, Davis Jr. (ed), Encyclopedia of African History and Culture, Vol. 4,

٢-عنوان هذا الكتاب: ورد عنوان الكتاب في آخر المقدمة التي وضعها النَّاظم، قال: "وقد آن لنا الشُّروع في المنظومة التي وضعناها لأجل هذه الفتنة المذكورة، وسمَّيناها تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين". [ورقة:٧/٢٤]، ويُطلق عليه أيضًا: «النُّصح المبين في قبح اختلاف المؤمنين»، وأيضًا: «منظومة في إصلاح ذات البين»، وهذه التَّسمية الأخيرة، هي الأصل حين نظَّم الفوتي هذه المنظومة دون أن يجعل لها مقدمة وتعليقات. توجد نُسخ عدَّة لهذا الكتاب بمكتبات في إفريقيا وأوربا[(١)]، كما توجد منه نسخة إلكترونية على شبكة «إنترنت»[(٢)].

٣- أوَّل المخطوط: في بداية هذه المخطوطة خرمٌ للنِّصف الأخير لحوالي أربعة أسطر، وأوَّلها: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله (خرم) وسلمَّ (خرم)، أمَّا أبيات المنظومة فإنَّها تفتتح بقوله:

وقـــال بـاســـم ربِّــه الـفــوتـيُّ عُـمــر الــكَــدِوي بــن ســعـيـد مـــا افـتَـخَـرْ

[ورقة:٧/٢٤]

٤- خاتمة المخطوط: اختتم الكتاب بقوله: «الحمد لله على التَّمام والكمال، والصَّلاة والسَّلام على من جُعل ختام الأنبياء، وله حسن الختام. تمت. الحمد لله وعونه والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه. الحمد لله رب العالمين. آمين». [ورقة:٢٤/٢٤]، ويبدو أنَّ الحمدلة الأخيرة من النّاسخ.

٥- فنُّ المخطوط: نظم الشَّيخ الفوتي هذه المنظومة في شعر الرَّجز، واستخدم فيها فنَّ التَّطريز وهو بناء القصيدة على أبيات متتالية، تكوِّن الحروف الأولى منها عبارةً أو كلمة أو اسم الممدوح إذا كانت قصيدة مدحيَّة، وهو من المحسِّنات البديعيَّة[(٣)]، وكما ذكر المؤلِّف، فإنَّه قد بنى هذه المنظومة على تطريز آيتي الحجرات التَّاسعة والعاشرة، فناسب ذلك جدًّا موضوع المنظومة؛ لأنَّها هي آية المصالحة، وبلغت أبياتها (١٩٧) بيتًا.

٦- مراجعه: لئن كان المؤلِّف قد صرَّح بأنَّه قد نظم هذه القصيدة وهو ماشٍ بالصَّحراء، وأنَّه لم يطالع كتابًا وقت نظمها، فإنَّ ذلك يخصُّ المنظومة فحسب، وأمَّا النُّصوص الملحقة بها – وهي التي أضافها فيما بعد– فإنَّه قد رجع في ذلك إلى مصادر كثيرة، من ذلك:

- كتب الحديث النَّبوي، وتشمل كتب الصِّحاح وما دونها.
- كتب التَّفسير، كالجلالين، والبغوي.

(1) Kaolack 94; Niamey 214; 2035; Paris (Bibliotheque Nationale) 5708, ff, 128r- 137v, 6101, ff 207v-208, (inc), Kaolak, 94; Sokoto (SHB), 866. London, Co. 267-324, 536.

نسخة بمكتبة فريتاون سيراليون، كتبت للمختار عبد الكريم (إدوارد بليدن)، مؤرخة بالثامن من رمضان، ١٢٩٥هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٨٧٣م. ينظر: John Hunwick, ALA, 221.

(2) http://hdl.loc.gov/loc.amed/aftmh.tam026, Kitab tadhkirat al-ghafilin ‹an qubhi ikhtilaf al-mu›minin - aww al-nasuh al-mubin qubhi ikhtilaf al-mu›minin (A reminder to those who ignore religion). CALL NUMBER (tam 26), Mamma Haidara Commemorative Library, DIGITAL ID (aftmh tam026).

(٣) مجدي وهبة، وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، د.ت)، ص٣٦٩-٣٧٠.

- كتاب إحياء علوم الدين، وكتاب التبر المسبوك للإمام الغزالي، وقد أفاض في الأخذ من هذين المصدرين.
- كتاب السراج المنير للخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ/١٥٧٠م).
- كتاب الإبريز لسيدي أحمد السجلماسي (ت١١٥٦هـ).

تجدر الإشارة إلى أنَّه ينصُّ بأمانة تامَّة على مصادره في معظم المواضع، وفي مواضع نادرة يعمِّم، فيقول مثلاً: قال بعض المفسِّرين، قال بعض العلماء.

٧- وصفٌ شكلي:

أ- الورقات: حجمها وعدد الصَّفحات والأسطُر: مجموع ورقات هذه المخطوطة (٢٤) ورقة، وعدد الأسطُر متفاوتٌ بين ورقة وأخرى وهو بمتوسط عشرين سطرًا، وعدد الكلمات في السطر الواحد غير منضبط أيضًا. الأبيات مكتوبةٌ بشكلٍ مكبَّر ومضبوطة بالشَّكل، وهي في عمودين لكن الفراغ الفاصل بين العمودين غير منتظم يضيق حينًا ويتَّسع حينًا آخر.

ب- **خوارج النَّص (الهوامش):** وضعت نصوص الحواشي بخط أصغر حجمًا من خط المتن، رفيعة جدًّا في معظم الورقات، ولم يلتزم فيها النَّاسخ باتِّجاه موحَّد، فهي: أفقيَّة، طوليَّة، عرضيَّة، في أعلى الورقة، وفي أسفلها، وفي الأيمن، والأيسر كيفما اتَّفق في جميع اتِّجاهات الورقة، وقد ملئت بها الورقة ملئًا كاملاً. وهذه نتيجة لغلاء الأوراق والمخطوطات بإفريقيا؛ حيث يحرص النُّساخ على استخدام جميع الفراغات الممكنة على الورقة.

ج- **التَّعقيبة:** وُضعت تعقيبات في نهاية كلِّ ورقة، بمعنى أنَّ النَّاسخ إذا انتقل من ورقة لأخرى فإنَّه يضع التَّعقيبة، أما في حال الانتقال من صفحة لأخرى؛ أي عندما يكتب على ظهر الورقة فإنَّه لا يضع تعقيبة؛ لذلك فإنَّ جميع الصَّفحات الزَّوجيَّة تحمل تعقيبات.

د- **حَرْدُ المتن:** لم يتوفَّر بهذه المخطوطة تاريخ النَّسخ أو الشَّخص المكتوب له.

هـ- **نوع الخط:** الخطُّ السُّوداني: الخطُّ (مغربي) سودانيٌّ تمبكتي أو ما يُعرف بالخط الصَّحراوي، لكن تبدو عليه بعض سمات الخطِّ الخطِّ السوداني البورنُوي[1]، كالجمع بين شكل الرَّاء نازلةً مع طرفٍ صاعدٍ (تمبكتي)، وشكلها كأنَّها ألف نازلة (بورنُوي)، ويغلب الظَّن أنَّ النَّاسخ هو المؤلِّف نفسه؛ لسُكناه بمنطقة بورنو وتأثُّره بالخطِّ هناك.

و- **زخارف ورسومات:** لم توجد بهذه المخطوطة أيَّة زخرفة؛ وذلك نتيجة لما سبقت الإشارة إليه من حرص النَّاسخ على استغلال جميع الفراغات الممكنة على الورقة؛ نظرًا لغلائها.

ز- **المدادات والألوان:** لون المداد في هذه المخطوطة بُنِّيٌّ فاتح، ويبدو أنَّه مدادٌ محليُّ الصُّنع مستحضر

(1) D. H. Bivar, African Language Review: The Arabic Calligraphy of West Africa, p3-5, 1968.

من عروق الأشجار وقشورها، وكما أشار إليه النَّاظم، فإنَّ الحرف الأوَّل في كلِّ بيت قد كُتب بلون مختلف (يبدو أنَّه الأحمر)؛ حتَّى يتَّضح الحرف المطَّرز به من آية الحجرات الكريمة.

٨- ملحوظات عامَّة:

- نصوص النَّاظم الإنشائيَّة قليلةٌ جدًّا؛ لأنه يسرد الأقوال سردًا، ولا يتخلَّلها تعليق منه إلا نادرًا.
- النَّاسخ متأثِّر بالرَّسم العثماني، وتلك ظاهرة شائعة في مخطوطات بلاد السُّودان، ومن أمثلتها: تسهيل الهمزات: ليلا (لئَلاَّ)، مومنون (مؤمنون)، وعدم التفريق بين الألف وهمزة القطع، مثل: انَّ، امير، الى، انا، اسلام، امام... وعدم تنقيط الياء الممدودة (فى)، والنون (من)، وعدم إثبات ألف المدِّ في معظم الكلمات، مثل: تعلى (تعالى)، طائفتىن (طائفتان)، يرسول الله (يا رسول الله)، وإثباتها في بعض الكلمات التي يُستحسن حذفها فيها: لاكِن (لكن)، ذالك (ذلك).
- الظَّاهر أنَّ هذه النُّسخة من النُّسخ الأولى التي كُتِبت في حياة المؤلِّف النَّاظم (إن لم يكن هو نفسه كاتبها)؛ إذ لم يُسبق اسم المؤلِّف بشيء من عبارات التَّفخيم والتَّبجيل، وإنَّما قال: "يقول الفقير إلى الله عمر بن سعيد الفوتي" [ورقة:١/٢٤]. كما لم يذكر بعد اسمه شيء من التَّرحُّم عليه.

٩- منهجيَّة التَّحقيق

لقد سار تحقيق هذه المنظومة على منهجيَّة يمكن تحديد خطواتها على النَّحو الآتي:

١. نسخ نصوص المنظومة من النُّسخة المخطوطة باتِّباع القواعد الإملائيَّة الحديثة المعروفة.

٢. مراجعة النَّص المطبوع ومقابلته بالنَّص الأصل.

٣. تحقيق النُّصوص والأقوال التي اقتبسها المؤلِّف من مصادرها ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

٤. وضع أرقام للورقات الأصليَّة داخل النَّص المحقَّق، وذلك بالإشارة إلى ترتيب الورقة مضافًا إلى العدد الإجمالي للورقات، مثال: [ورقة:١/٢٤].

٥. التَّعليق بإيجازٍ على بعض المواضع في المتن، كتوضيح كلمة، وشرح إشارة.

٦. وضع كشَّاف موضح للنص آخر الكتاب ويشمل: الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النَّبويَّة، والأعلام، والأمكنة الواردة في النَّص.

٧. تخريج الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة تخريجًا مختصرًا.

٨. لم نر ثمة حاجة للتَّعريف بالأعلام والأماكن المذكورة في المتن؛ لأنَّها مشهورة، واكتفينا بوضع الأسماء الكاملة لبعضهم وسنة الوفاة.

١٠- الملحق: كشافات

أ- كشاف الآيات القرآنيّة (بترتيب السُّور).

الآيـــــة	ص
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٦).	١٨٤
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).	١٩٣
﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ ﴿٧٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٣)	١٨٠
﴿ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).	١٨١
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٠).	١٨٢
﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴿٨٥﴾ ﴾ (النساء: ٨٥).	١٨٠
﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴿١١٤﴾ ﴾ (النساء: ١١٤).	١٨٠
﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة: ٢).	١٨٢
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، (المائدة: ٧٨-٧٩).	١٨١-١٨٢
﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٥).	١٨٢
﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٥).	١٩٣
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة: ٧١).	١٨١
﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل:٨).	١٨٠
﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (النور: ١٢).	١٩٥
﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧).	١٩٢
﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات: ٦).	١٩٢
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجرات: ٩).	١٩٢
﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات: ١٢).	١٩٢
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحديد: ١٧).	١٨٠
﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (القلم: ١١).	١٩١

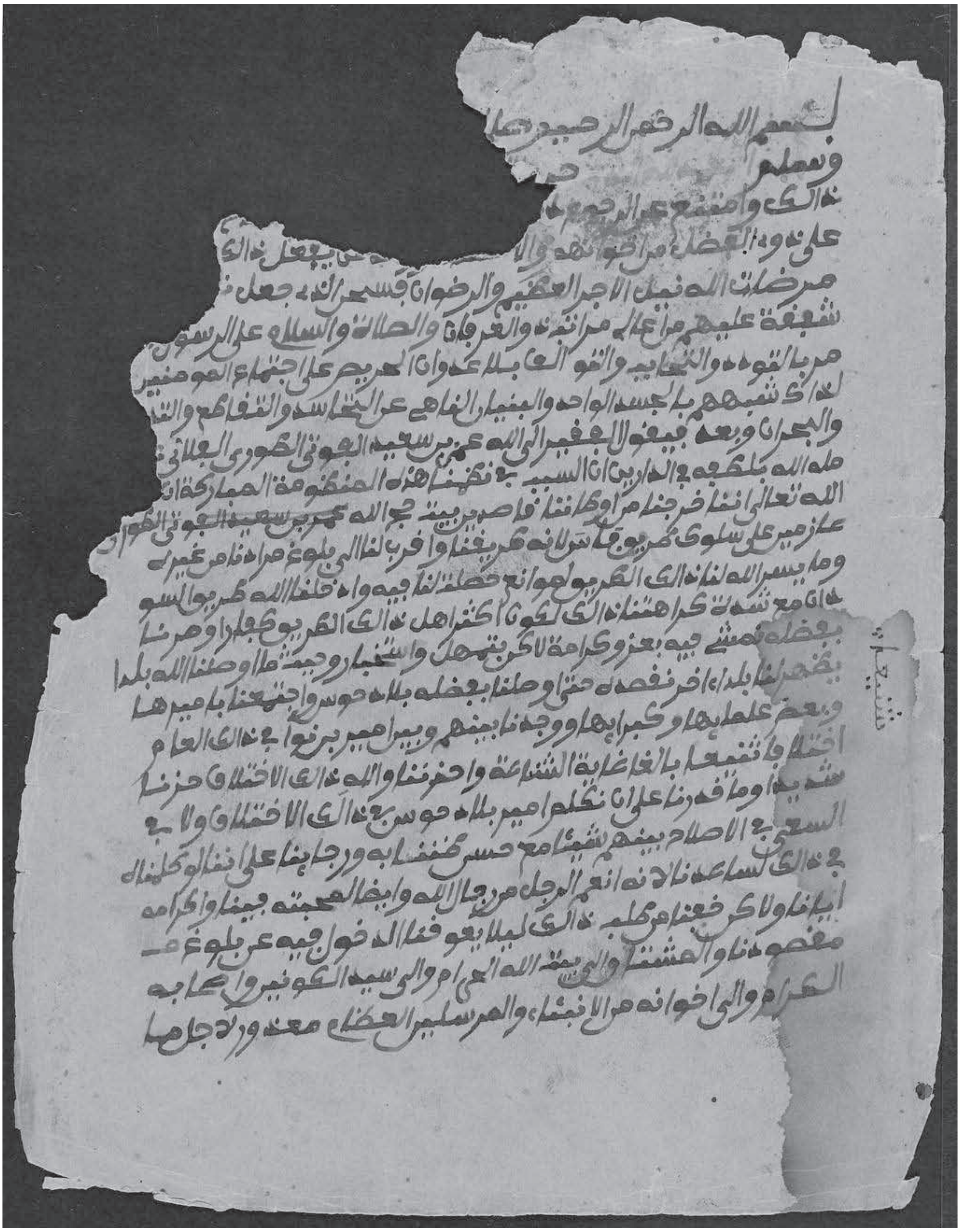
ب – كشاف الأحاديث النَّبويَّة والآثار

طرف الحديث	ص
"أبغض القراء إلى اللّه تعالى الذين يزورون الأمراء..."	١٩٨
"إذا أراد اللّه بالعبد خيرًا، ساق إليه مَنْ يذكِّره...".	١٨٤
"إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما...".	١٩٤
"إذا رأيتَ أمَّتي تهابُ أن تقول للظَّالم يا ظالم..."	١٨٣
"أفضلُ شُهَداء أمَّتي رجلٌ قام إلى إمام جائرٍ...".	١٨٣
"ألا أُخْبِركم بِأَفْضَلَ من درجَة الصيام والصَّدقة والصَّلاة"	١٨٠
"الدِّين النَّصيحة. قلنا لِمَنْ يا رسول اللّه؟ ...".	١٨٣
"العلماء أُمناءُ الرُّسل على عباد اللّه..."	١٩٨
"الفتنة نائمةٌ لعن اللّه من أيقظها...".	١٩٤
"المؤمن للمؤمن كالبُنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا...".	١٩٥
"الهمَّازون اللَّمازون المشَّاؤون بالنَّميمة..."،	١٩٢
"إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة لا يلقي بها بالاً...".	١٨٤
"إن النَّاس إذا رأوا الظَّالم...".	١٨٢
"إن أوَّل ما دخل النَّقصُ على بني إسرائيل..."	١٨٢
"إن قلوب بني آدم بين إصبعَين من أصابع الرَّحمن..."	١٨٠
"أيُّ الشُّهداء على اللّه أكرمُ؟...".	١٨٣
"عُذِّبَ أهلُ قرية فيها ثمانية عشَرَ ألفًا..."	١٨٣
"كُفَّ يديك ولسانَك وادخُلْ دارَك...".	١٩٤
"كلاَّ واللّه لتأمُرُّن بالمعروف ولَتَنهوُّن عن المنكر...".	١٨٢
"كُنَّا نسمع أنَّ الرَّجل ليتعلَّقُ بالرَّجل يوم القيامة...".	١٨٣
"لا تزالُ لا إله إلاَّ اللّه تنفع مَن قالها...".	١٨٣

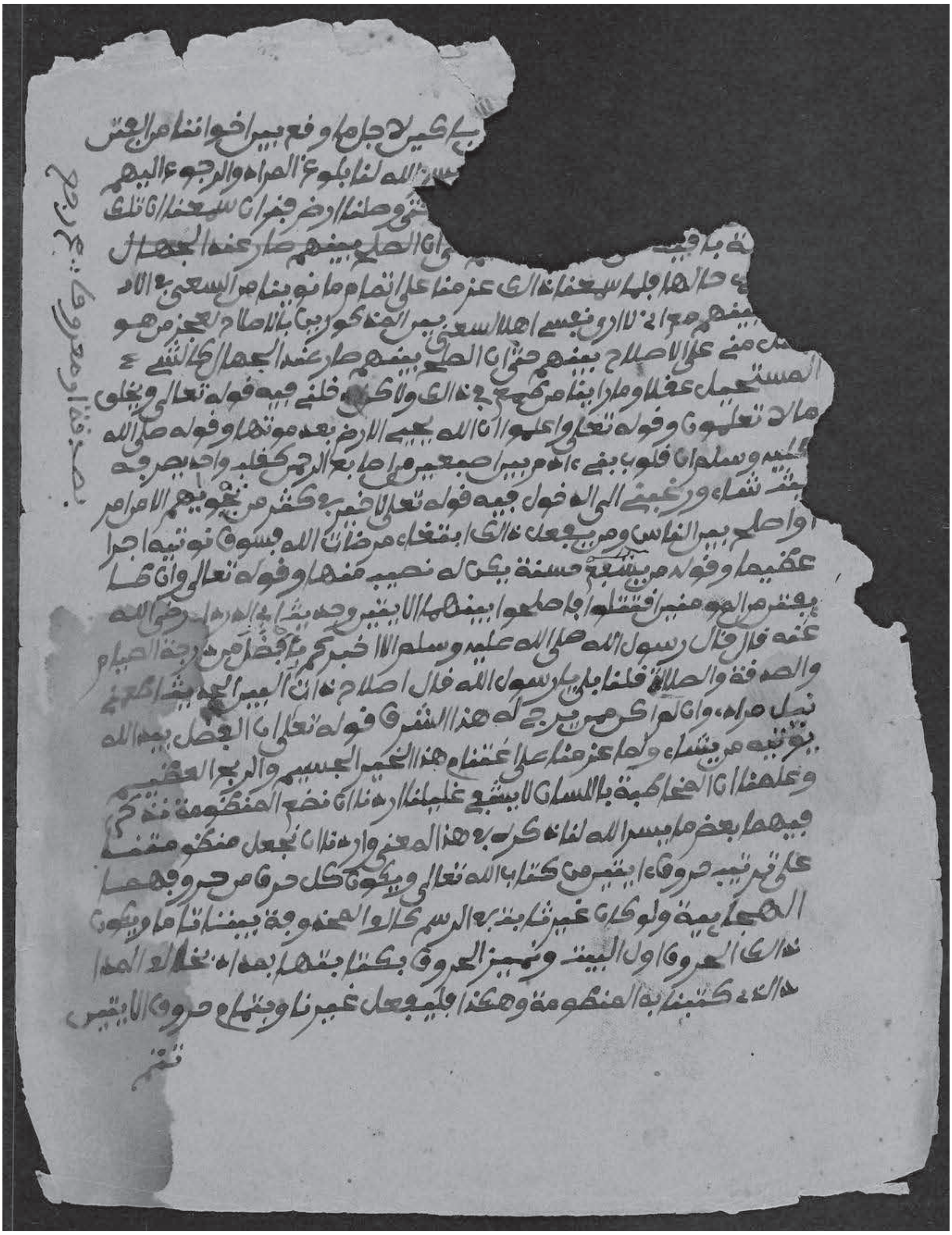
ج – كشاف الأعلام

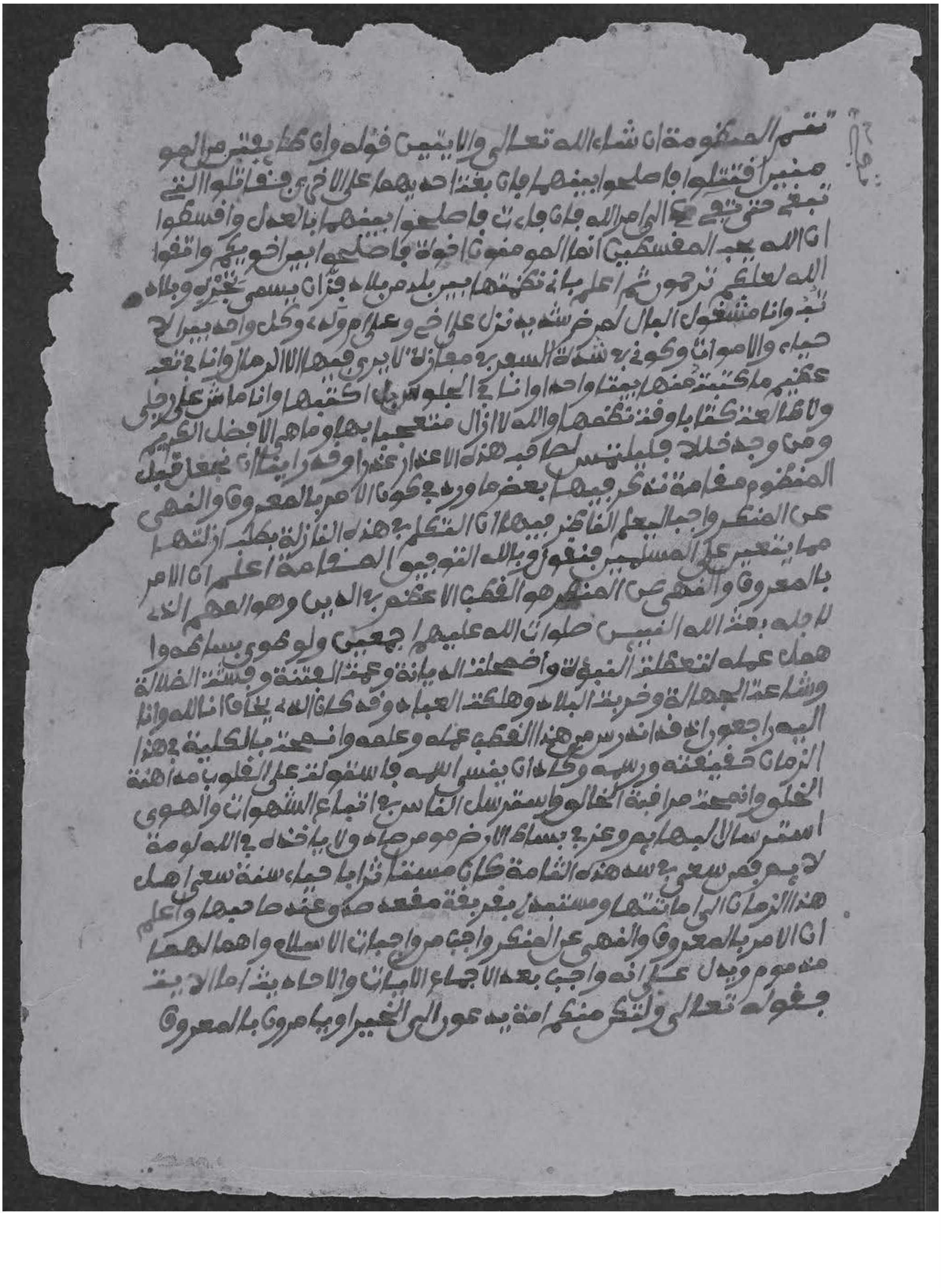
العَلَم	ص
بهلول المجنون (أبو وهيب بهلول بن عمرو الكوفي، ت١٩٠هـ).	١٨٤
حذيفة (بن اليمان بن جار، ت٣٦هـ).	١٩٨
الخَزْرَجْ (قبيلة بالمدينة).	١٨٥
رزين (أبو الحسن بن معاوية بن عمار الأندلسي).	١٨٣
ساس بن قيس (شاس اليهودي)	١٩٠
سعيد بن جبير (الأسدي، ت٩٥هـ).	١٩٣
سلمة (بن الأكوع، ت٧٤هـ).	١٩٨
سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي	١٦٧ ، ١٨٧
الضحاك (أبو محمد بن مزاحم الهلالي، ت. بعد ١٠٠هـ).	١٩٩
الطبراني (سليمان بن أحمد، ت٣٦٠هـ).	١٨٦
عبادة بن الصامت (بن قيس الأنصاري، ت٣٤هـ).	١٩٩
عبد الله بن مالك الخزاعي	٢٠٠
علي بن أبي طالب (بن عبد المطلب الهاشمي، ت٤٠هـ).	١٩٣
عمر بن سعيد الفوتي	١٦٣
الغزالي (أبو حامد محمد الطوسي، ت٥٠٥هـ).	١٩٧
الفشني (أحمد بن حجازي، ت٩٨٧هـ).	١٨٣
فنحاص (بن جمعوض اليهودي)	١٨٩
قابِيلَ (بن آدم عليه السلام).	١٨٩
مكحول (أبو عبد الله، ت١١٢هـ).	١٩٩
هارون الرَّشيد (الخليفة، ت١٩٣هـ).	١٨٤؛ ٢٠٠
يحيى بن خالد البرمكيِّ	٢٠٠

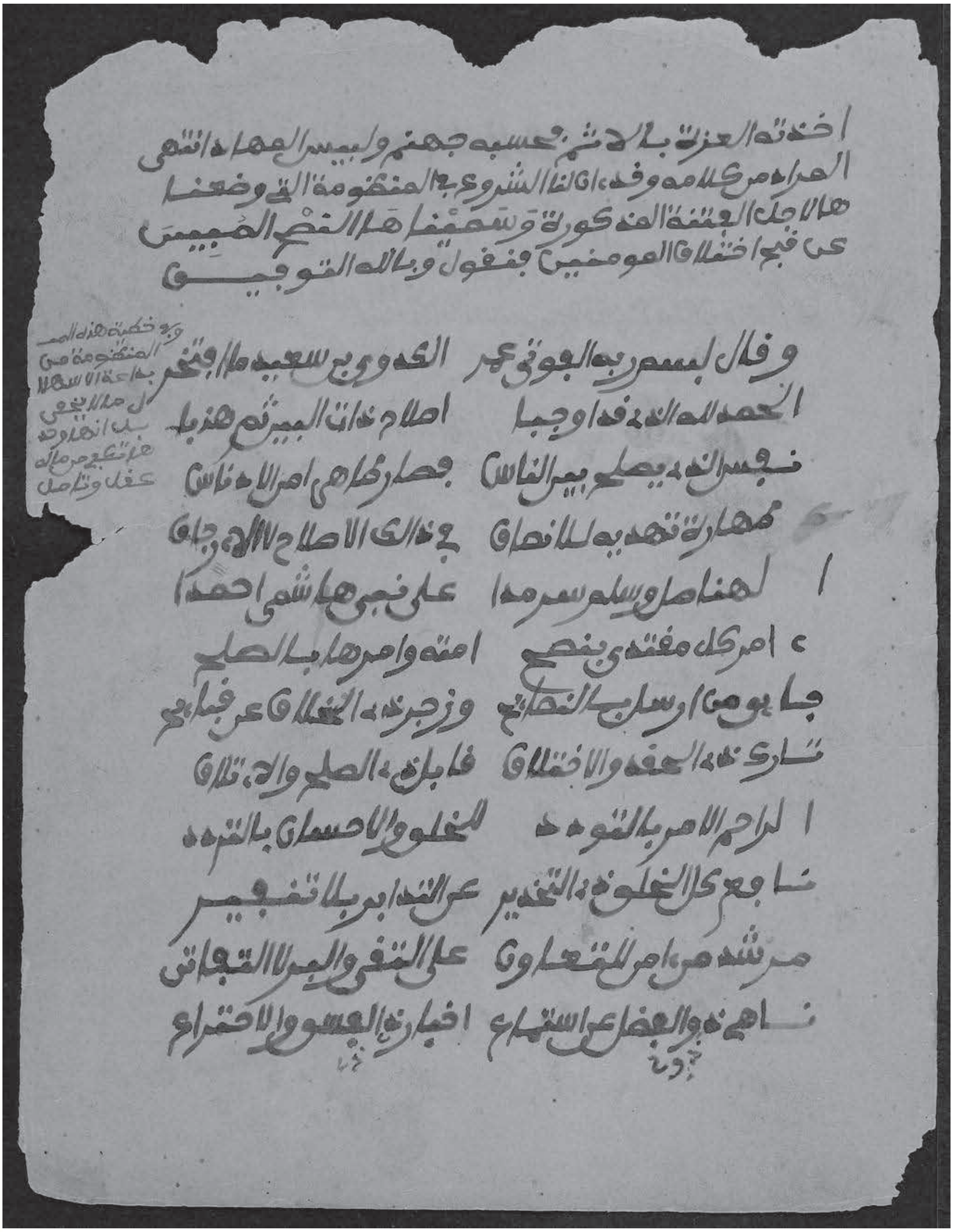
د- كشاف المواضع والأمكنة

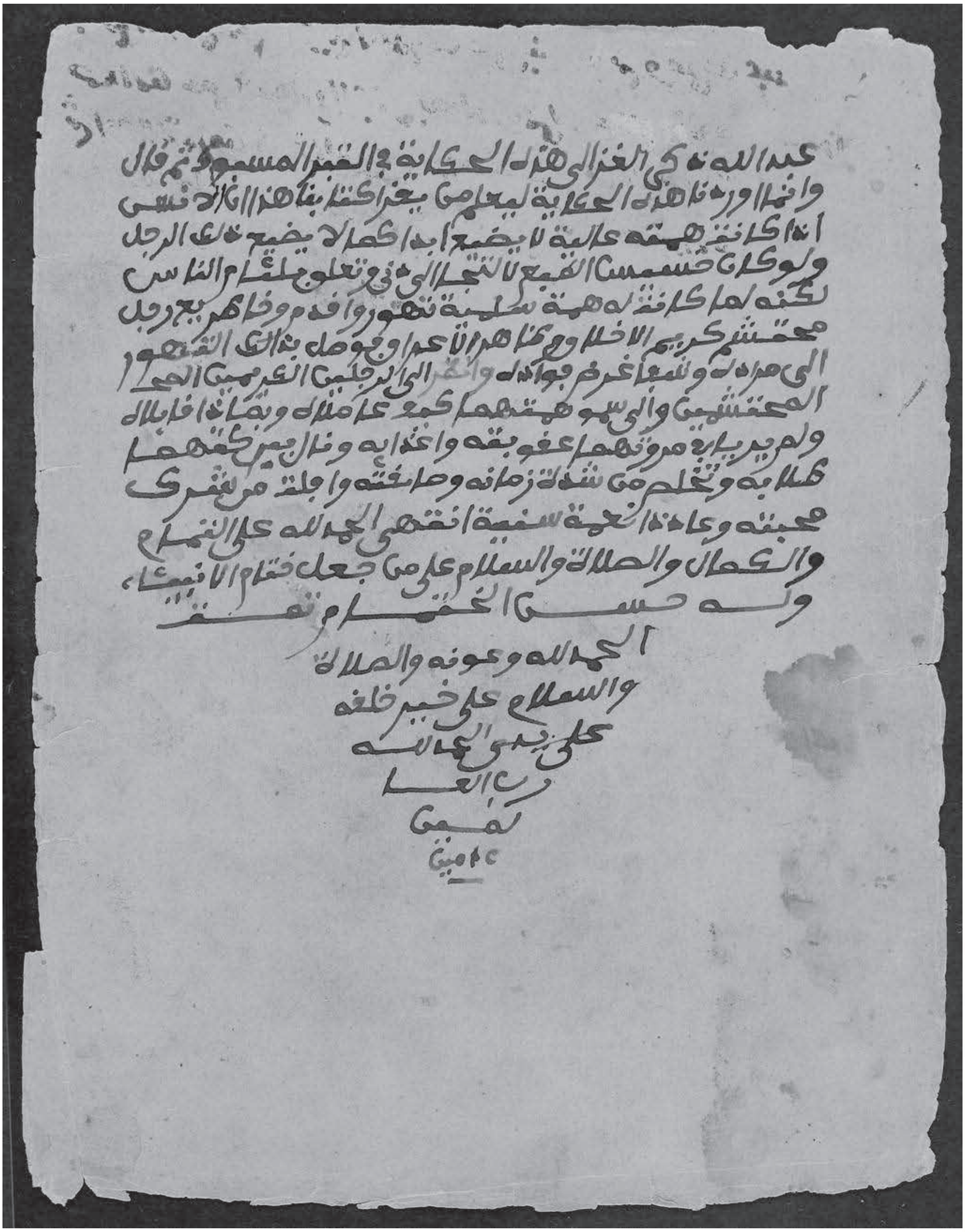

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى
ونسلم
ذلك وامتنع عن الرجوع
على ذوي الفضل من اخوانهم و... حتى يفعل ذلك
من رضات الله فينيله الاجر العظيم والرضوان فسبحان الذي جعل
شفقة عليهم من عالي مراتبه والقربات والصلاة والسلام على الرسول
من بالقوة والنجابة والقوة الفاضلة بلا عدوان الحريص على اجتماع المومنين
لذلك شبههم بالجسد الواحد والبنيان الناهي عن التحاسد والتقاطع والتد
والهجران وبعد فيقول الفقير الى الله عمر بن سعيد الفوتي الطوري البلاني
حله الله بلطفه في الدارين ان السبب في نظمنا هذه المنظومة المباركة ان
الله تعالى لما خرجنا من اوطاننا فاصحبني بيننا عبد الله محمد بن سعيد الفوتي الطو
عازمين على سلوك طريق قد نسأله طريقنا واقرب لنا الى بلوغ مرادنا من غيره
وما يسر الله لنا ذلك الطريق لموانع حصلت لنا فيه واذ خلقنا الله طريقا الى السو
دان مع شدة كراهتنا الى ان نكون اكثر اهل ذلك الطريق جعلنا ونحن نا
بفضله نمشي فيه بعز وكرامة لا كمن يتمحل واستغفار ووجدنا ... وصلنا الله بلدا
بعد بلدا الى ان وصلنا حتى وصلنا بفضله بلاد حوس واجتمعنا باميرها
وبعض علمائها وكبرائها ووجدنا بينهم وبين امير برنوا في ذلك العام
اختلافا فاجتمعنا بالغاية الشناعة واحزننا والله ذلك الاختلاف حزنا
شديدا وما قدرنا على ان نكلم امير بلاد حوس في ذلك الاختلاف ولا في
السعي في الاصلاح بينهم شيئا مع حسن ظننا به ورجائنا على ... و...
في ذلك لساعدنا لانه انعم الرجل من رجال الله وابنا الصحبة فينا واكرامه
ابيانا ولا كن ... ذلك ليلا يقع ... فيه عن بلوغ
مقصودنا و... والى ... الله الحرام والى سيد الكونين واصحابه
الكرام والى اخوانه من الانبياء والمرسلين العظام ... ودجلها

تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين


...ب أشير له جل ما وقع بين إخواننا من العش...
...الله لنا بلوغ المراد والرجوع إليهم
...شتى وصلنا أرض فبراك سمعنا أن تلك
...[illegible] أن الصلح بينهم صار عند الجهال
...في حالها فلما سمعنا ذلك عزمنا على إتمام ما نوينا من السعي في الإ...
بينهم مع أني لا أدري فيمن سمى أهل السعي بين الخلق يكون رجا بالإصلاح لعجز من هو
...تكل مني على الإصلاح بينهم حتى أن الصلح بينهم صار عند الجهال كالشيء
المستحيل عقلا وما رأينا من تجمع في ذلك ولا أكثر خلفي فيه قوله تعالى ويخلق
ما لا تعلمون وقوله تعالى واعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها وقوله صلى الله
عليه وسلم إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
كيف يشاء ورغبني إلى الدخول فيه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا
عظيما وقوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وقوله تعالى وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما إلا [illegible] أبي الدرداء رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام
والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين الحديث إلى غيره
نيل مراده وإن لم أكن ممن يرجى له هذا الشرف فقوله تعالى إن الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء ولما عزمنا على اغتنام هذا الخير الجسيم والربح العظيم
وعلمنا أن المخاطبة باللسان لا يشفي غليلنا أردنا أن نضع المنظومة فذكر
فيها بعض ما يسر الله لنا ذكره بهذا المعنى وأردنا أن نجعل منظومتها
على ترتيب حروف الهجاء [illegible] من كتاب الله تعالى ويكون كل حرف من حروفها
الهجائية ولو كان غيرنا يعبر بالرسم كالواو [illegible] ما ويكون
ذلك الحروف أول البيت وتمييز الحروف بكتابتها بمداد يخالف المداد
الذي كتبنا به المنظومة وهكذا فليجعل غيرنا ونظام حروف الا يقين
تمت


تتميم المنظومة ان شاء الله تعالى والابيات قوله وان طائفتان من المو
منين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا
ان الله يحب المقسطين انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا
الله لعلكم ترحمون ثم اعلم بانه نظمتها بين بلد من بلاد فزان يسمى تجرهي وبلاد
تبو وانا مشغول البال لمرض شديد نزل على اخي وعلى ام ولده وكل واحد بين الا
حياء والاموات وكوني في شدة السغب في مفازة لا يجري فيها الا الرمال وانا في تعب
عظيم ما كتبت منها بيتا واحدا وانا في الجلوس بل اكتبها وانا ماش على رجلي
ولا طالعت كتابا وقت نظمها والله لا ازال متعجبا بها وما هي الا فضل الكريم
ومن وجد خللا فليلتمس لصاحبه هذه الاعذار عذرا وقد راينا ان نجعل قبل
المنظوم مقامة نذكر فيها بعض ما وقع في كون الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واجبا والعلم القاصر فيها ان التكلم في هذه النازلة بكليتها اذ انها
مما يتعين على المسلمين فنقول وبالله التوفيق المقامة اعلم ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي
لاجله بعث الله النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ولو طوي بساطه وا
همل عمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة
وشاعت الجهالة وخربت البلاد وهلكت العباد وقد كان الذي يخاف انا لله وانا
اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية في هذا
الزمان حقيقته ورسمه وكان ذلك بنسيان الله فاستولت على القلوب مداهنة
الخلق وانمحقت مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الشهوات والهوى
استرسال البهائم وعز في بساط الارض مومن صادق لا ياخذه في الله لومة
لائم فمن سعى في سد هذه الثلمة كان مستقلا قراءتها فيها سنة سعى اهل
هذا الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة مفقود صادق وعند صاحبها واعلم
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من واجبات الاسلام واهم المهمات
مذموم ويدل على انه واجب بعد الاجماع الايات والاحاديث اما الايات
فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف


أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد انتهى
المراد من كلامه وقد آن لنا الشروع في المنظومة التي وضعنا
ها لأجل الفتنة المذكورة وسميناها النصح المبين
عن قبح اختلاف المومنين فنقول وبالله التوفيق
في خطبة هذه المنظومة من براعة الاستهلال ما لا يخفى ... عقل وتامل
وقال ليسمو ربه العوفي عمر   العلوي بن سعيد ملا فتخر
الحمد لله الذي قد اوجبا   اصلاح ذات البين ثم هذبا
فجعل الذي يصلح بين الناس   فصار ماهي امر الادناس
مهارة تمهد به للانفاق   في ذلك الاصلاح لا الادجاق
ثم صلى وسلم سرمدا   على نبي هاشمي احمدا
وامر كل مقتدي بنصح   امته وامرها بالصلح
جا يوما ارسل بالنصائح   وزجره الخلاف عن قبائح
تدارك ذا العفو والاختلاف   فابن ذي الصلح والائتلاف
لراحم الامر بالتودد   للخلو والاحسان بالتردد
شارع بكل الخلو في التحذير   عن التدابر بلا تقصير
مرشدهم امر للتعاون   على التقى والبر لا التهاون
ناهيهم عن الفضل عن النزاع   اخبارهم العفو والاجتماع



عبد الله نه يحي الغزالي هذه الحكاية في الخبر المسبوق ثم قال
وإنما أوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرأ كتابنا هذا أن الأدفشي
أنه كان ذا همة عالية لا يضيع أبدا كما لا يضيع ذلك الرجل
ولو كان خسيس الطبع لا التجأ إلى من تعلو منه لئام الناس
لكنه لما كانت له همة سلمية تهور وأقدم وفاهم بعد رجل
محتشم كريم الأخلاق وجمعا همة الأعراف فوصل بذلك القهر
إلى مراده ونفعا غرم فوائده وانظر إلى الرجلين الغريمين الحال
المحتشمين وإلى سمو همتهما كيف جمع على ملاك وبقاء إقبال
ولم يرد بابه مروتهما عفو بقه واعذابه ونال من كلفهما
كلابه وتخلص من شدة زمانه وحاجته واجلة من عشرى
محبته وعاد إلى النعمة السنية انتهى الحمد لله على التمام
والكمال والصلاة والسلام على من جعل ختام الأنبياء
وله حسن الختام تم
الحمد لله وعونه والصلاة
والسلام على خير خلقه
على نبي محمد الحمد لله
رب العالمين
تم
آمين

القسم الثَّالث: النَّص المحقَّق

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى اللّه... وسلَّم... الحمدُ لله الذي ...

ذلك وامتنع عن الرجوع ...

على ذوي الفضل من إخوانهم وال.... من يفعل ذلك ... مرضات اللّه نيل الأجر العظيم والرضوان، فسبحان الذي جعل ذلك... شفقة عليهم من أعالي مراتب ذوي العِرْفان، والصَّلاةُ والسَّلامُ على الرَّسول (الآ) مر بالتَّودُّد والتَّحابب والتَّآلف بلا عدوان، الحريص على اجتماع المؤمنين لذلك شبَّههم بالجسد الواحد والبنيان، النَّاهي عن التَّحاسُد والتَّقاطع والتَّد(ـابُر) والهجران، وبعد.

فيقول الفقير إلى اللّه عمر بن سعيد الفوتي الطُّوري الفلاني -(شـ) مله اللّه بلطفه في الدَّارين- إنَّ السبب في نظمنا هذه المنظومة المباركة أننا خرجنا من أوطاننا قاصدين حجَّ بيت اللّه[1]، عازمين على سلوك طريق فاسَ؛ لأنَّه طريقنا وأقرب لنا إلى بلوغ مرادنا من غيره، وما يسَّر اللّه لنا ذلك الطريق لموانع حصلت لنا فيه، وأدخلنا اللّه طريق السودان مع شدَّة كراهتنا ذلك؛ لكون أكثر أهل ذلك الطريق كفَّارا، وصرنا بفضله نمشي فيه بعزٍّ وكرامة لكن بِتَمهُّلٍ واستخبار، وحيث ما أوصلنا اللّه بلدًا يُظْهِر لنا بلدًا آخر نقصده حتى أوصلنا بفضله بلاد حَوْسَ، واجتمعنا بأميرها وبعض علمائها وكبرائها، ووجدنا بينهم وبين أمير بُرْنُو في ذلك العام اختلافًا شنيعًا[2] بالغًا غاية الشَّناعة، وأحزننا -واللّه- ذلك الاختلاف حزنًا شديدًا، وما قدرنا على أن نكلم أمير بلاد حوس في ذلك الاختلاف ولا في السَّعي في الإصلاح بينهم شيئًا مع حسن ظنِّنا به ورجائنا على أنَّنا لو كلَّمناه في ذلك لساعدنا؛ لأنه أنعم الرجل من رجال اللّه، وأيضًا لمحبته فينا وإكرامه إيانا، ولكن خفنا من طلب ذلك لئلا يعوِّقنا الدُّخول فيه عن بلوغ مقصودنا، والمشتاق إلى بيت اللّه الحرام، وإلى سيد الكونين وأصحابه الكرام وإلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين العظام معذور؛ لأجل ما (...)

[ورقة:١/٢٤]

باكين لأجل ما وقع بين إخواننا من الفتن (...) يسَّر اللّه لنا بلوغ المراد والرُّجوع إليهم، (...) حتى وصلنا أرض فَزَّان[3]، سمعنا أنَّ تلك (الفتـ) ـة باقية، حتى (...) أنَّ الصُّلح بينهم صار عند الجهَّال (...) حالها[4]، فلما سمعنا ذلك عزمنا على إتمام ما نوينا من السعي في الإصلاح بينهم مع أني لا أرى نفسي أهلاً لسعيٍ بين المذكورَيْن بالإصلاح؛ لعجز من هو (أجلُّ) مني على الإصلاح بينهم، حتى أن الصُّلح بينهم صار

(١) تكررت هنا: «عمر بن سعيد الفوتي الطوري»، ثم شطب عليها بخط. وفي المتن قال: «قاصدين بيت حج اللّه».

(٢) في المتن: ثنيعا، وجاء تصحيحه في الهامش الأيمن.

(٣) فَزَّان: بفتح الفاء وتشديد الزَّاي، كانت عاصمتها زَويلة، ومن أعمال كانم. تقع الآن في جنوب ليبيا.

(٤) تكررت قبل هذه الكلمة قوله: «حتى أن الصلح بينهم صار عند الجهال». ثم شطب عليها بخط.

عند الجهال كالشيء المستحيل عقلاً، وما رأينا من طمع في ذلك ولكن خلني فيه قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١٧﴾ ﴾[2]، وقوله (ﷺ): "إن قلوب بني آدم بين إصبعَين من أصابع الرَّحمن كقلبٍ واحدٍ يصرِّفُه حيث شاء"[3]، ورغَّبني إلى الدخول فيه قوله تعالى:

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[4]. وقوله: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴿٨٥﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾ ﴾ الآيتين[6]، وحديث أبي الدرداء (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): "ألا أُخبركم بأفضلَ من درجَة الصيام والصَّدقة والصَّلاة"؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البَين" الحديث[7]. أطعمني نيل مراده، وإن لم أكن ممَّن يرجى له هذا الشَّرف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ﴿٧٣﴾ ﴾[8].

ولما عزمنا على اغتنام هذا الخير الجسيم والرِّبح العظيم، وعلمنا أن المخاطبة باللِّسان لا يشفي غليلَنا، أردنا أن نضع منظومة نذكر فيها[9] بعض ما يسَّر الله لنا ذكره في هذا المعنى، وأردنا أن نجعل منظومته على ترتيب حروف آيتَين من كتاب الله تعالى، ويكون كلُّ حرفٍ من حروفها الهجائيَّة، ولو كان غير ثابتٍ في الرَّسم كالألف المحذوفة، بيتًا تامًّا، ويكون ذلك الحروف أوَّل البيت، ونميز الحروف بكتابتها بمداد يخالف المداد الذي كتبنا به المنظومة، وهكذا فليفعل غيرنا، وبتمام حروف الآيتين

[ورقة:٢/٢٤]

تتمُّ المنظومة إن شاء الله تعالى، والآيتين قوله: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[10].

---

(١) سورة النحل:٨.

(٢) سورة الحديد: ١٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١١٢؛٢٥٧، والترمذي: باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ٦/٣٤٩، ومسلم عن عبد الله بن عمرو، في القدر: باب تصريف الله القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤)، وفي صحيح الجامع للألباني، ٥٧٤٧، وهو حديث صحيح.

(٤) سورة النساء: ١١٤، في المتن: «كثر» بدون ياء. وفيه أيضا كُتب في الهامش الأيسر قوله تعالى:)بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ(تتمة للآية، وبعده رمز "رجع".

(٥) سورة النساء: ٨٥.

(٦) سورة الحجرات: ٩.

(٧) عن أبي الدرداء، سنن الترمذي، (رقم:٢٥٠٩)، وهو حديث صحيح.

(٨) سورة آل عمران: ٧٣.

(٩) في الأصل: فيهما.

(١٠) سورة الحجرات: ٩-١٠.

ثم اعلمْ بأنِّي نظمتها بين بلدٍ من بلاد فِزَّان يسمى تِجْرِه وبلاد تُبُ، وأنا مشغول البال لمرض شديدٍ نزل على أخي وعلى أمِّ ولدي، وكلُّ واحدٍ بين الأحياء والأموات، وكوني في شدَّة السَّفر في مفازة لا يُرى فيها إلاَّ الرِّمالُ، وأنا في تعبٍ عظيم، ما كتبتُ منها بيتًا واحدًا وأنا في الجلوس، بل كتبتها وأنا ماشٍ على رجلي، ولا طالعتُ كتابًا وقتَ نظمها، واللّه لا أزالُ متعجِّبا بها، وما هي إلا فضلُ الكريم، ومن وجد خللاً فليلتمس لصاحب هذه الأعذار عذرًا، وقد رأينا أن نجعل قبل المنظوم مقامةً نذكر فيها بعض ما ورد في كون الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجبًا؛ ليعلم النَّاظرُ فيها أن التَّكلُّم في هذه النَّازلة بطلب إزالتها ممَّا يتعيَّن على المسلمين.

فنقول - وباللّه التَّوفيق:

المقامة

اعلم أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدِّين، وهو الفهم الذي لأجله بعث اللّه النبيِّين صلوات اللّه عليهم أجمعين، ولو طوى بساطه، وأُهمِلَ عملُه، لتعطَّلت النبوَّة، واضمحلَّت الدِّيانة، وعمَّت الفتنة، وفشت الضَّلالة، وشاعت الجهالة، وخربت البلاد، وهلكت العباد. وقد كان الذي يخاف –إنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون! إذْ قد انْدَرَس من هذا القطب عمله وعلْمُه، وانْمحتْ بالكُليَّة في هذا الزَّمانِ حقيقتُهُ ورسْمُه، وكاد أنْ يُنسَى اسمُه؛ فاستَوْلَتْ على القلوبِ مداهنةُ الخَلْق، وانْمحت مراقبة الخالق، واسترسَلَ النَّاسُ في اتِّباع الشَّهواتِ والهوَى، استرْسال البَهَائم، وعزَّ في بساط الأرض مؤمنٌ صادقٌ لا يأخذه في اللّه لومةُ لائمٍ، فمَنْ سَعى في سدِّ هذه الثُّلمة كان مستأثرًا بإحياء سنَّةٍ سعى أهل هذا الزَّمان إلى إماتتها، ومستبدلي بقربه (؟) مقعد صدقٍ عند صاحبها.

واعلمْ أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجبٌ من واجبات الإسلام، وإهمالُهما مذمومٌ، ويدلُّ على أنَّه واجبٌ بعد الإجماع الآيات والأحاديث. أمَّا الآياتُ فقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ...

[ورقة:٣/٢٤]

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]،

فهذه دليلُ الوجوب، فإنَّ قوله: "ولْتكن منكم" أمرٌ وظاهرُهُ الإيجابُ، ففيها بيانٌ أنه فرضُ كفاية لا فرض عين غالبًا؛ إذْ لم يقلْ: كونوا كلُّكم آمرين بالمعروف. بل قال: "ولتكنْ منكم"، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧١﴾ ﴾[2]. وقد نُعت المؤمنون بهذه الصِّفات، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر خارجٌ عن هؤلاء المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟

(١) سورة آل عمران: ١١٤.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

وَكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾[1]، وهذا غاية التَّشديد؛ إذ علَّل استحقاقهم اللَّعنة بترك النَّهي عن المنكر، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ۝١١٠ ﴾[2]، وهذا يدلُّ على فضيلتهما.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝١٦٥ ﴾[3]، والتَّصريح بنجاة النَّاهين دلَّ على فضيلته، وقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ۝٢ ﴾[4]، وهذا أمر جزم، ومعنى التَّعاون الحث عليه وتسهيل الطريق إلى الخير وسدّ طريق الشَّر والعدوان.

فأما الأحاديث فقوله (ﷺ): "مَنْ رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده وإن لم يَسْتَطِعْ فبلسانه، وإن لم يَسْتَطِعْ فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". (رواه مسلم وغيره)[5]. وقوله (ﷺ): "ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهمْ مَن يقدِرُ عليهم فلَم يفعلْ إلاَّ يوشكُ أن يَعُمَّهُم الله بعذابٍ من عنده"، وفي رواية: "إن النَّاس إذا رأوا الظَّالم فلم يأخذوا أوْشَك أن يَعُمَّهم الله بعقابٍ من عنده". (رواه أبو داود وغيره)[6]. وقوله (ﷺ): "إن أوَّل ما دخل النَّقصُ على بني إسرائيل كان الرَّجل يلقى الرَّجل فيقوله: يا هذا اتَّق الله ودَعْ ما تَصْنَع؛ فإنَّه لا يحلُّ لك! ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا.

[ورقة:٤/٢٤]

يمنعهُ ذلك أن يكون أكيلَهُ وشريبه وقعيده، فلمَّا فعلوا ذلك؛ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾ إلى قوله: "فَاسِقُون"[7]، ثم قال: "كلاَّ والله لتأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظَّالم ولتأطرنَّه على الحق أطرًا، أو ليضربنَّ الله قلوبَ بعضكم ببعضٍ ثم يلعنكم كما لعنهم". (رواه أبو داؤود)[8].

وقوله (ﷺ): "يا أيُّها النَّاس مُرُوا بالمعروف وانْهَوْا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يُستجاب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لا يدفع رزقًا ولا يقرِّب أجلاً، وإن الأحبار من اليهود والرُّهبان من النَّصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ لعنهم الله تعالى

---

(١) سورة المائدة: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ١١٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٥.

(٤) سورة المائدة: ٢.

(٥) عن أبي سعيد الخدري، صحيح مسلم (رقم:٤٩).

(٦) عن قيس بن أبي حازم، صحيح أبي داود للألباني، (رقم:٤٣٣٨)، حديث صحيح.

(٧) سورة المائدة : ٧٨-٨١.

(٨) عن عبد الله بن مسعود، (رقم:٤٣٣٦)، سكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح.

على أنبيائهم، ثم عُمُّوا بالبلاء"، (رواه الأصبهاني)[١].

وقوله (ﷺ): "لا تزالُ لا إله إلاَّ اللّه تنفع مَن قالها وتردُّ عنهم العذاب والنِّقمةَ ما لم يستخفُّوا بحقِّها. قالوا يا رسول اللّه ما الاستخفاف بحقِّها؟ قال: يظهر العمل بمعاصي اللّه فلا يُنْكَرُ ولا يَغيَّر"، (رواه الأصبهاني أيضًا)[٢]. وقوله (ﷺ): "إذا[٣] رأيتَ أمَّتي تهابُ أن تقول للظَّالم يا ظالم! فقد تُوُدِّع منهم" أي: ترك الظَّالم باقياً عليهم. (رواه الحاكم وصحَّح إسناده)[٤].

وقول أبي هريرة (رضي اللّه عنه): "كُنَّا نسمع أنَّ الرَّجل ليتعلَّقُ بالرَّجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول: ما لك إليَّ، وما بيني وبينك معرفةٌ؟! فيقول: كنتَ تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني"، ذكره رزين[٥]. وقوله (ﷺ): "لا ينبغي لامرئٍ شهد مقامًا فيه حقٌّ إلاَّ تكلَّم به فإنَّه لن يُقَدِمَ أجَلَهُ، ولن يُحرِمَهُ رزقًا هو له"[٦]، وقوله (ﷺ): "عُذِّبَ أهلُ قرية فيها ثمانية عشَرَ ألفًا عملُهم عمل الأنبياء! قالوا: يا رسول اللّه، كيف لم يكونوا؟ قال: يغضبون

[ورقة: ٢٤/٥]

للّه ولا يأمرون بمعرُوفٍ، ولا يَنْهَوْنَ عن مُنكر"[٧]. وحديث أبي عبيدة بن الجرَّاح، قال: "قلت يا رسول اللّه أيُّ الشُّهداء على اللّه أكرمُ؟ قال: رجلٌ قام إلى والٍ جائرٍ فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر؛ فقتلَه فإنْ لم يقتلْهُ فإنَّ القلم لا يجري عليه عاش ما عاش"[٨]، وقوله -(ﷺ): "أفضلُ شُهَداء أمَّتي رجلٌ قام إلى إمام جائرٍ فأمَرَهُ بالمعروف ونهاه عن المنْكَر، فقتَله على ذلك، فذلك الشَّهيد منزلةً في الجنَّة بين حمزة وجعفرٍ"[٩].

فقد ظهر بهذه الأدلَّة أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجبٌ وأنَّ فرضه لا يسقط إلاَّ بقيام قائم به، ومن لنا بذلك القائم الذي ينصح عبادَهُ، ولا يأخذه في اللّه لومةُ لائم، وإذا وُجِدَ فمَنْ يقبَلُ نصحَهُ؟ قال الفشني في شرحه على الأربعين عند قوله: "الدِّين النَّصيحة. قلنا لِمَنْ يا رسول اللّه؟ قال: للّه ولكتابه

(١) في المتن بدون «لسان» قبل أنبيائهم. وهو حديث ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، ج٥، حديث (رقم:١٧١).

(٢) رواه أنس بن مالك، كتابالترغيب والترهيب للمنذري، حديث (رقم٣٤٩٨).

(٣) كتب الناسخ قبل هذه الكلمة: «لا تزال لا إله إلا» ثم شطبها بوضع خط عليها.

(٤) رواه عبداللّه بن عمرو، ضعيف الترغيب للألباني، رقم١٣٩٢، وفي مجمع الزوائد ٢٦٥/٧، روي بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ٢٣٥/٣، حديث (رقم٣٥٠٦). أما رزين فهو: رزين بن معاوية بن عمار، الإمام المحدث الشهير أبو الحسن العبدري الأندلسي. سير أعلام النبلاء، ٢٠٤/٢٠.

(٦) رواه الحافظ العراقي عن ابن عباس، تخريج الإحياء، ٣٨٠/٢.

(٧) هكذا ورد في المتن، والأظهر أنه: «كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون للّه...»، رَوَتْه أم المؤمنين عائشة (رضي اللّه عنها)، الأجوبة المرضية للسخاوي، ٢٨٧/١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٣٢١/٦.

(٨) رواه أبو عبيدة عامر بن الجراح، تخريج الإحياء للحافظ العراقي، ٣٨٢/٢، والزيادة من قوله: «فإن لم يقتله....» إلخ. قال: منكرة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف.

(٩) رواه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده.

ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم"(١)، قال الأسنوي (رحمه الله) في بعض مؤلَّفاته في الحديث: "إذا أراد الله بالعبد خيرًا، ساق إليه مَنْ يذكِّره إذا غَفَل، وإذا أراد به شرًّا؛ ساق إليه جليس سوءٍ ينهاهُ عن الأخذ بالموعظَة"(٢).

ولما تولَّى هارون الرَّشيد جلس للنَّاس مجلسًا عامًّا؛ فدخل عليه بهلول المجنون فقال له: يا أمير المؤمنين احذرْ جُلساء السُّوء، واعتمد جليسًا صالحًا يذكِّرك بمصالح خَلْقِهِ إذا غَفَلْتَ، والنَّظر فيهم إذا لَهَوْتَ، فإنَّ هذا أنفعُ لك وللنَّاس، وأكثر في الأجر ممَّا تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحجٍّ. إنَّ الرَّجل كان يلقي الكلمة عند ذي سلطانٍ فيعمل به فيملأ الأرض فسادًا"(٣). وقال (ﷺ): "إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة لا يلقي بها بالاً فيهوي بها في النَّار سبعين خريفًا"(٤)، ولا تكنْ يا أمير المؤمنين كمَنْ قال تعالى في حقِّه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ...

[ورقة:٦/٢٤]

أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾(٥)، انتهى المراد من كلامه، وقد آن لنا الشُّروع في المنظومة التي وضعناها لأجل الفتنة المذكورة وسمَّيناها "النُّصح المبين عن قبح اختلاف المؤمنين".

فنقول وبالله التَّوفيق(٦):

وقـالَ بـاسـمِ ربِّـه الـفـوتـيُّ عُـمَـر	الـكِـدِويُّ بـن سـعـيـد مـا افْـتَـخَـرْ(٧)
الـحـمـدُ لله الـذي قـد أوْجَـبَـا	إصـلاحَ ذات الـبَـيْـنِ ثـم هـذَّبَـا
نـفـسَ الـذي يُـصْـلِـحُ بـيـن الـنَّـاسِ	فـصـارَ طـاهِـرًا مِـنَ الأدْنـاسِ
طـهـارةً تـهـديـه لـلانْـصـافِ	فـي ذلـك الإصـلاحِ لا الإرجَـافِ
إلـهَـنـا صـلِّ وسـلِّـمْ سَـرْمَـدَا	عـلـى نـبـيٍّ هـاشِـمِـيٍّ أحـمَـدَا
آمـرِ كـلِّ مُـقـتَـدي بِـنُـصْـحِ	أمَّـتِـه وأمـرِهـا بـالـصُّـلْـحِ

(١) رواه تميم الداري، سنن أبي داوِد (رقم:٤٩٤٤)، سكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح. وفي التمهيد لابن عبد البر، ٢١/٢٨٤، صحيح.

(٢) الأسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م).

(٣) في المتن «فيما» والأظهر أنَّه «فيملأ».

(٤) رواه أبو هريرة، صحيح البخاري (رقم:٦٤٧٨)، ولكن نص البخاري هكذا: «إنَّ العبد ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوان اللهِ ، لا يُلقي لها بالًا ، يرفعُ اللهُ بها درجاتٍ ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ ، لا يُلقي لها بالًا ، يهوي بها في جهنَّمَ»، وفي سنن الترمذي، رقم:٢٣١٩، وقال حسن صحيح.

(٥) سورة البقرة: ٢٠٦.

(٦) في الهامش الأيسر: وفي خطبة هذه المنظومة من براعة الاستهلال ما لا يخفى، بل إنَّها وحدها تكفي من له عقل وتأمُّل.

(٧) الفوتي: نسبة إلى "فوتَا"، وهي منطقة واسعة بغرب إفريقيا، تنقسم إلى قسمين: فوتا تُورو (وتوجد بغينيا)، وفوتا تُورُو (وتوجد بالسنغال)، وكان الشَّيخ عمر من فوتا تورو. وللتَّفريق بين المنطقتين يُنسب إلى الأولى بـ"فوتاتوري"، والأخرى بـ"فوتاجالي". و"الكِدِوي" نسبة إلى عشيرته.

فـائـق مَـــنْ أرســـــل بـالـنَّـصـائـح وزَاجـــــر ذي الــخــلاف عــن قـبـائـح
تــــارك ذي الــحــقــد والاخـــتـــلاف قــابِــل ذي الـصُّــلـح والائــتــلاف[1]
الـــرَّاحــــم الآمــــــر بـــالـــتَّـــوَدُّد لـلـخَـلْـق والإحـــســـان بـالـتَّـرَدُّد
نـافـع كــلِّ الـخَـلْـق ذي الـتَّـحـذيـر عـــن الـــتَّـــدابُـــر بــلا تَـنْـفـيـر
مــرشـــد مـــن آمـــن لـلـتَّـعـاوُن عـلـى الـتُّـقـى والـبـرِّ لا الـتَّـفـاتُـن[2]
نـاهـي ذَوِي الـفَـضْـلِ عـن اسـتـمـاع أخـبـارِ ذي الـفِـسْـقِ والاحـتِـراع[3]

[ورقة:٧/٢٤]

الـقـائـلِ "اشْفَعوا"[4] فـكـان قـابـلا شَــفــاعــةً حــســنــةً لا خـــاذلا[5]
لِـيــن جــانــبِ لـمــن جــاء يـشـفَـعُ لا بـمُـعــســرٍ وفـــاقًـــا يَـمـنَـعُ
مـاحـي اخـتـلاف الأوْسِ والـخَـزْرَجْ مـن قـلـوبـهـم مـن ضـغْـنِ قـد رَكَـنْ
وبـعـد، فـاعـلَـمْ يـا أخـي أنَّ الـسَّـبـب فـي نَـظْـمِـنـا مـنـظـومَـةً بـلا طَـلَـبْ
مُـصـيـبـةٌ بـلاَ بـهـا الـحـمـيـدُ رُعـاتَـنـا، يـفـعـلُ مـا يُـريـدُ[6]
نـدعـوا رُعـاتَـنـا لـلانـتـبـاه لـنـقـمـةٍ عُـظـمـى بـلا اشـتـبـاه
يـا فَـوْزَ مَـنْ رَفَـعَـهـا الـحـكـيـمُ عـلـى يَـدَيْـه وهُـوَ الـكَـريـمُ
نـرجـوا بـفـضْـلِ ربِّـنـا الـقَـديـر زَوالَـهـا عـلـى يَـدَيْ فـقـيـر
إن قـلـتَ أنَّـى تـلـتـقـي هـذا الـشَّـرف؟ هـلْ يطمعُ المسكن فـي سُكنى الغرف؟
قـلـتُ: نـعـمْ يـعـطـي الـذي يـشـاءْ مـن شـاء لا يَـلْـحـقـه الـعـنـاءْ
تـا الله لا أيْـئَـسُ مـن وُصـولـي مـقـامَ الأقْـطـابِ ونـيـل سُـؤْلـي

(١) في المتن: "والإتلاف".

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢).

(٣) الاحتراع: هكذا ورد في الأصل ولم نجد لها معنى واضحًا أو كلمة بديلة، ولعله بالخاء (اختراع).

(٤) إشارة إلى الحديث المرويِّ عن أبي بريدة عن أبيه، عن النبي (ﷺ) قال: "اشْفَعُوا إليَّ؛ فلتُؤجَرُوا وليقْضِ الله على لِسانِ نبيِّه ما شاء". وقد ورد في الهامش الآتي جزءٌ منه.

(٥) في الهامش الأيمن: فلتؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء" متفق عليه، يعني: إذا عرض صاحب حاجة عليَّ أشفعوا إليَّ فإنَّكم إذا أشفعتم إليَّ حصل لكم فتلك الشفاعة أجر سواء قبلت شفاعتكم أو لم أقبل، وقوله: يقضي الله على لسان رسوله، أي يجري على لساني ما شاء إن قضيت حاجةً من شفاعتكم فهو بتقدير الله تعالى، وإن لم أقض فهو أيضًا بتقدير الله تعالى، كأنَّه قال: اشفعوا إلي ولا تقولوا ما ندري أيقبل رسول الله أم لا فإنِّي وإن كنتُ رسول الله نبيه وصفيَّه لا أدري أيضًا أقبل شفاعتكم أم لا؛ لأنَّ القاضي هو الله تعالى، فإن قضى لي أن أقبل؛ أقبلُ، وإلا فلا. وهو كقوله ﷺ: "اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له" والفاء واللام في (كلمة مخرومة) فلتؤجر مقحمتان للتأكيد؛ لأنَّه لو قيل: تؤجروا.. (كلمة مخرومة) اللَّهُمَّ اغفر لي ولوالدي.

(٦) في الهامش الأيسر: بلا: فعل ماض، وفاعله الحميدُ، من بلا، يبلو، وبها: جار ومجرور، والضمير عائد إلى المصيبة.

تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين

تالله لا أظنُّ إلا الخيْرَ ... كما أمرتُ لا أظنُّ الشَّرَّ
لأنصح النَّاسَ كما أُمِرْتُ ... إنْ قَبِلوا اعتممت ما أردتُ
وإن أبَوا فالأجرُ بالنِّيات ... ولا على النَّاصح لَوْمٌ يأتي
آنَ لنا الشُّروعُ في المقصُود ... بحَوْلِ خالقِ الوَرَى المَعْبُود
فاعلَمْ هداكَ الله أنَّ الخيرَ في ... تعظيمِ خلقِ الله والتّلطُّف

[ورقة:٢٤/٨]

إذْ كلُّ هذا الخلْقِ أفعالُ الصَّمدِ ... في الفِعْلِ آياتٌ لأسماءِ الأحَدِ
صفاتُه تُعرَف بالأسماء ... من غير عدِّها والاسْتِقصاء
لا شكَّ للعارِف بالصِّفات ... في كونها قائمةً بالذَّات
حقٌّ على عَارِفِ هذا الأمْر ... محبَّةُ الخَلْقِ لهذا القَدر
وحبُّ خلقه بهذا المعنى ... لذاته والضِّدُّ أيضًا يعني
إن كان ذا في حقِّ كلِّ العالَم ... فانظُر هداكَ الله حقَّ الآدَميِّ
بقلب مَنْ يعلَمُ أنَّ الآدميَّ ... أفضلُ من جميع هذا العالَم
يكفيكَ جعْلُ الله كلَّ الأنبيا ... منهم والأقطابَ وجلَّ الأوْليا
نهى الحكيمُ عن قتالِ الكافرِ ... من قَبْلِ أن يُدعَى كفى للنَّاظر
هل ذاك إلاَّ الحبُّ حتى حُرِّم ... بعد بلوغ دعوة وعَظُمَ
مثلته لسرِّ الاعتناء ... بخلقه وهم في الاعتداء
إن كان ذا في حقِّ شخص كافر ... فانظرْ حقوقَ مومن بالقادر
فحُرمة المومن أعلَى وَأجَلُّ ... مِنْ حُرمَة الكعبة عند الله جَلّ[1]
إذْ هَدْمُ ذي الدُّنيا وكعبة أخفُّ ... من قَتْل مُومنٍ بباطل فَخَفْ[2]
نفسُ قتيل العَمد يوم العَرْض ... تقول يا ربَّ السَّما والأرض
بغى عليَّ عبدُك المسيء ... خُذْ لي قِصَاصِي منه لا يفيء

[ورقة:٢٤/٩]

(١) في الهامش الأيسر: قال عمر: رأيت رسول الله (ﷺ) يطوف الكعبة ويقول: ما أطيبك وما أطيب ريحك، وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المومن عند الله أعظم من حرمتك: ماله ودمه" فانظر أيها العاقل ما أحد قصد هدم الكعبة قط إلا قصمه الله تعالى، فإذا كان حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة الكعبة المعظمة، فقتل المؤمن أعظم حرمة من هدم الكعبة وكذا أخذ ماله بغير حق، فكيف يكون حال القاتل عند الله يوم القيامة. صح.

(٢) في الهامش: وقال عليه السَّلام: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق" رواه ابن ماجة بإسناد حسن. وقال (ﷺ): "يأتي المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه متلبِّبًا باليد الأخرى قاتله تشخب أوداجه حتى يأتي به العرش فيقول لربَّ العالمين جل جلاله: هذا قتلني، فيقول الله: تعِسْتَ، أي هلكت، فيذهب إلى النار" رواه الترمذي وحسَّنه الطبراني.

غَـلـظَـتْ مـلائـكـةُ ذي الـجَـلالِ   عـلـى الــذي يـدْعُـو إلــى الـقـتـالِ
تـدعـوا عـلـى الـقـاتِـلِ بـالـمَـهـالـكِ   إذْ كــانَ لـلـصَّـلاح غـيْـرَ سـالِـكِ

روي: ذاتُ بني آدم عليها ثلاثُمائة وستَّة وستُّون مَلَكًا وهذا العدد على كلِّ ذاتٍ ذاتٌ، فمن قتل ذاتًا بغير حقٍّ فإنَّ هذا العدد من الملائكة الذين في الذَّات المقتولة إذا خرجوا منها بعد القتل لا يكون لهم بعد القتل لا يكون لهم شُغلٌ إلا الدُّعاء باللَّعنة على من قَتَل الذات وأخرجهم منها بغير حقٍّ، ودعاء الملائكة مستجابٌ، فَخَفْ أيُّهَا القاتلُ من هذا الدُّعاء، وأيضًا فإنَّ الذَّات عليها سبعةٌ من الكرام الحفظة الكاتبين، فإذا قُتِلَت الذَّات بغير حقٍّ، فإنَّهم لا شغل لهم إلا نقل كلِّ ما في صحيفة المقتول من سيِّئاتٍ فينقلونه ويحفظونه في صحيفة القاتل، وكلُّ ما فعل القاتل من حسنةٍ فإنَّهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول، وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل، ثم يصير هذا ذكرًا لهم فيذكرون ما فعل القاتل من السَّيئات، وذكر الملائكة كالمطر، فكلُّ ذكر ينزل معه ما يماثله، فإن ذكروا أحدًا بسوء؛ نزل عليه السُّوء، وإن ذكروه بخير نزل عليه الخير، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه، ولا يزالون يذكرون القاتل بشرٍّ، والشَّرُّ ينزل عليه (صح من الإبريز)[1].

أقــوالُــهــا يــا ربِّ قــد تـشَـبَّـهَ   بِـكَ الـضَّـعـيـفُ قـال ذا مـن نَـبَّـهَ
حــارَتْ عُـقـولُ ذي الـنُّـهـى والـعِـلْـم   فـي كَـشْـفِ آيَـةِ الـنِّـسـا والـفـهـم[2]
دُخــولُ نــارٍ والـخُـلـودُ سَـرْمَـدَا   قـولُ ابـن عـبَّـاسٍ ومَـن قـد شَـدَّدَا[3]
أبــو هـريـرة بِـمِـثْـلِ قـولـه   أجــابَ بـلْ زادَ لأجـلِ حَـلْـفـه
هــو الــذي قــدْ قــالَ بـالله الــذي   لا ربَّ فــي الـوُجُـودِ غـيـرُه احـتُـذِي
مــا يـدخُـل الـجـنَّـة حـتَّـى يَـلِـجَ الـ   جَـمَـلُ فـي سَـمِّ الـخِـيَـاط لـم يُـنَـلْ
أوَّلَـهــا قــومٌ بـالاسْـتِـحْـلاَلِ   لأنَّــه كُــفْــرٌ بــلا إشْــكـالِ

[ورقة:١٠/٢٤]

عـبَّـرَهـا الـبـعـضُ عـلـى الـتَّـأبـيـدِ   إنْ جُــوزِيَ الـجـاهـلُ بـالـتَّـشْـديـدِ

(١) المالكي، سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي. كتاب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٢م)، ص٢٠-٢١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣).

(٣) في الهامش الأيسر: قال عمر: من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حلٍّ" (رواه البخاري وغيره).الورطات: بسكون الراء، جمع وَرطة، وهي الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة فيه. رهـ. (صحيح البخاري، رقم:٦٨٦٣).

وفي الهامش الأيمن باتجاه معاكس من الأسفل للأعلى، كتب: وقال أيضا: "لو أن أهل السموات والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبَّهم الله جميعًا في النار" قاله في الدرر الفريدة في تبين المحارم. اللهم صل وسلم. (رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة، الجامع الصغير للسيوطي، رقم:٧٤٠٧، وصحيح الجامع للألباني، رقم:٥٢٤٧).

تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين

لبعضِهِمْ أنَّ الخلودَ إنْ أتى فالقَصْدُ طولُ المُكْث اسْمَعْ يا فَتَى
إلاَّ إذا قارَنَهُ لَفظُ الأبَدْ فذاكَ للتَّأبيدِ حيثُ ما وَرَدْ
أجابَ مَنْ أجادَ في الجَوابِ بأن ذا الشِّدَّةِ الحِجَابِ
لا يَهْتَدي للخَيْرِ وقتَ النَّزْعِ فصارَ للعَذابِ يومَ الفَزْعِ
إلاَّ بِسِرٍّ عندَ أهلِ المَوْلَى إخْفاؤُهُ في ذا المَقامِ أوْلَى
خَوَّفَ ربُّنا بِكُلِّ حالِ في هذهِ الأقْوالِ مِنْ نِّكالِ
ربٌّ يُميتُ الخَلْقَ بانْفِرادِ يقصمُ مَنْ شارَكَ بالعِنادِ
انظُرْ بأيِّ هذهِ الأقْوَالِ يَغْتَرُّ دونَ تَوْبَةٍ في الحالِ
فأقْبَحُ العِبادِ عِندَ اللهِ ذُو الكُفْرِ ثمَّ قاتِلُ الأوَّاهِ

وإنَّما كان قاتلُ النَّفس عمدًا بغير حقٍّ أَقْبَحَ عباد الله عند الله بعد الكفر؛ لأنَّ القتل أكبر الكبائر بعد الكفر، وإنَّما كان القتلُ أكبر الكبائر؛ لأنَّه يعدم وسيلة المقصود؛ إذ المقصودُ مِنْ خَلْقِ الخلْق هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه والوسيلة المقرِّبة إليه، ورُسله وكُتُبه، والحياة وسيلةٌ إلى هذه المعارف؛ إذ الحياةُ لا ترادُ إلاَّ للآخرة، والتَّوصيل إليها بمعرفة الله تعالى، والقتل يُعدمُ هذه الوسيلة والنَّفس بِدَوَامِهَا في الحياة تحصل معرفة الله تعالى، والقتل يعدمها، فقتل النَّفس بغير حقٍّ لا محالة أكبر الكبائر دون الكفر؛ لأنَّ الكفر يُعدم أصل المقصود ويمنعه وهو معرفة الله تعالى؛ إذ الكفر حجابٌ بين العبد وبين ربِّه. (ر..هـ)

قد جاءَ في المائدَةِ التَّحذيرُ عن قَتْلِ ذي الإيمانِ والتَّنفيرُ(١)

[ورقة:١١/ ٢٤]

إذْ شبَّه الجبَّارُ قتْلَ الواحدِ بِقَتْلِ النَّاسِ حتَّى السَّاجدِ(٢)
تَغْتَرِفُ العُقولُ مِنْ أمْدَادِ بِحارِ ذي الآيَةِ بالتَّرْدادِ(٣)
لِلبَعْضِ استحلالُ قتلِ الواحدِ كالكُلِّ إذْ لا فَرْقَ أي الماجِدِ
وقالَ ذُو التَّحقيقِ مَعْنَى الآيَةِ لِقاتلِ العَمْدِ مِنَ النِّكايَةِ
أشدُّ شيءٍ لو أماتَ الأوْليا والنَّاسَ أجمعينَ حتى الأنْبِيا
أو أفسَدَ الدُّنيا لَما يظُنُّ أنَّ هناكَ زائدًا يُكَنُّ

(١) إشارة إلى قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢).

(٢) في الهامش الأيمن (مكتوبا بالاتجاه المعاكس لعرض الورقة)؛ أي من استحل قتل مسلم بغير حقٍّ فكأنَّما استحل قتل الناس جميعا؛ لأنهم لا يسلمون منه.

(٣) في الهامش الأيسر: فكأنما قتل الناس جميعًا.. جميع الناس خصماؤه في الدنيا إن لم يكن له أب وفي الآخرة مطلقا؛ لأنهم من أب واحد وأم واحدة.

للحَبْرِ أنَّ انتهاكَ الحُرْمَةِ ... يُسَبِّبُ القَتْلَ لِكُلِّ الأمَّةِ
تكلَّمَ المتْقِنُ في هذا المحَلْ ... وقال في الآيةِ إنَّ من قَتَلْ
يكونُ كلُّ النَّاسِ حتى الأنبيا ... لهُ خصامًا بل وكلُّ الأصْفيَا
تَعْسًا لِّمَنْ خاصَمَ كلَّ من ذُكِرْ ... يومَ شَفاعةٍ فهَلْ لَّهُ مَفَرْ
بيسَ الذي كانَ لَنا مُجدِّدَا ... سُنَّةَ قابيلَ لها مُؤيِّدَا(١)
غُفْرانُ ذنبِ مُشركٍ ومَن عَمَدْ ... لِلقَتْلِ فقدُه عن الهادي وَرَدْ(٢)
ياسُ الذي شارَكَ في سَفْكِ الدِّمَا ... من رَحمةِ المَعْبودِ أرضًا وسَمَا
حتَّى بِشقِّيْ كَلْمَةٍ جاء في الخَبَرْ ... عن خيرِ خَلْقِ الله سيِّدِ البَشَرْ
تَخْرُجُ أعناقٌ مِّنَ النِّيران ... تقولُ وُكِّلْتُ إلى إنسان(٣)
أشْرَكَ أو قَتَلَ نَفْسًا باطلاً ... أو كانَ جَبَّارًا عنيدًا غافِلاً

[ورقة:١٢/٢٤]

تَسَبُّبٌ أو عزمٌ أوتَمَنِّي(٤) ... أو الرِّضى كالفعل خُذْهُ عنِّي(٥)
في قولِ سيِّدِ الورَى "إذا الْتَقَى" ... مُخوِّفٌ رقَى لحدِّ الارْتِقَا
يا مَنْ يَعِي إن كان قَتْلُ واحدِ ... بُعدًا فكيفَ قتلُ ألفِ ساجدِ
اعْلَمْ بأنَّ كلَّ فعلِ العَسْكَرِ ... فعْلُ أميرهِمْ غدًا في المَحْشَرِ
إن كانَ ألفُ ألفِ ألفٍ قد قُتِلْ ... فإثْمُ قَتْلِهِمْ عليهِ قد حُمِلْ

---

(١) إشارة إلى قصة ابني آدم؛ حيث قتل أحدهما الآخر (المائدة، آية ٢٧ وما بعدها).

(٢) في الهامش الأيسر: كقوله (ﷺ): "كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلا الرجل ويموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا" (رواه النسائي والحاكم وصحح إسناده).

(٣) في الهامش الأيمن: وقال عليه السلام: "يخرج عنق من النار تتكلم وتقول: وكلت اليوم بثلاث: بكل جبار عنيد، من جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير حق فينطوي عليهم فتقذفهم في حمراء جهنم" (رواه أحمد). (رواه أبو هريرة، الترغيب والترهيب للمنذري، ٤/٩٤، وإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، وفي التذكرة للقرطبي، رقم:٢٢١، وإسناده صحيح).

(٤) كتب بعده بخط صغير في الفراغ بين صدر البيت وعجزه: على القتل. وفي الهامش الأيمن: في القتل بشهادة أو بقول زورا أو غيره.

(٥) في الهامش الأيسر: وإن لم يحضر قتله وهذا مطرد في جميع الطاعات والمعاصي، فكل من شارك في واحد منها أو رضيه ولو لم يكن في زمنه فهو شريك لفاعله وقد حاطب تعالى اليهود الذين في زمنه (ﷺ) ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهم لم يقتلوا أحدا منهم، وإنما رضوا بقتل أسلافهم إياهم فكأنهم قتلوهم وكذلك أخبر تعالى عن قوم نمرود أنَّهم قالوا في شأن الخليل: "اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ" (في الأصل: حدقوه بالدَّال)، ولم يقع القول منهم وإنما رضوا بقول نمرود، وكذلك أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم قالوا ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، وهم لم يقولوا ذلك وإنَّما رضوا بقول ابن أبي ذلك، وكذلك أخبر تعالى عن اليهود أنَّهم قالوا: "يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ" وهم لم يقولوه وإنَّما رضوا بقول فنحوص (فنحاص) ذلك.

لم يَنقُصْ مِنْ أوْزَارِ ... مُباشِرٍ شيئًا ولاَ أخْطَارِ
أَظنُّ راعٍ أنَّهُ لا يُحمَلُ ... عليه غيرُ إثمِ شَيْءٍ يَعمَلُ
إنْ كانَ بينَ المؤمنينَ قد حَصَلْ ... حربٌ فحقُّ قاتلٍ ومَنْ قُتِلْ(١)
مِنْ كلِّ واحدٍ مِّنَ الجَمْعَينِ ... على أبي الصُّلحِ دونَ مَيْنِ
رُبَّ امْرِئٍ عليْهِ ألفُ ألْفِ ... سَيِّئَةٍ في لَمْحَةٍ وطَرْفِ
إذْ كلَّ ما كانَ منَ الرَّعيَّهْ ... إلى الأميرِ مَرجِعُ البَليَّهْ
لا شكَّ أنَّ فاعلاً لا يُسْئَلُ ... عنْ غَيْرِه مِمَّنْ سِواهُ أفْضَلُ
لأنَّ مَنْ يأمُرُ بالقِتالِ ... والقَتْلِ والأسْرِ وأخذِ المالِ
هو المُحاسَبُ على الجَميعِ ... فيا لَهُ منْ هائلٍ فظيعِ
في هذه المُصيبَةِ العظيمَهْ ... مُصيبَةٌ أخرى هي العَقيمَهْ(٢)
أعْني بها اسْتِحلالُ هذا الأمْرِ ... فيُوقِعُ النَّاسَ بعينِ الشَّرِ

[ورقة:١٣/٢٤]

نَقُولُ أصلُ كلِّ ما تقَدَّمَا ... هُوَ اختلافُ المؤمنينَ فاعْلَمَا
فالاخْتِلافُ مُوجِبُ التَّحاسُدِ ... ومِنْهُ تأتي عِلَّةُ التَّحاقُدِ
إذا تَحاقَدُوا ودامَ الحِقْدُ ... تَقاتَلُوا ودامَ فيهِمْ وَجدُ
إنْ حَصَلَ المذكورُ في المنْظومِ ... وكانَ في الصُّدُورِ كالمَرْقُومِ
تَعَصَّبُوا وصارَ كلُّ واحدِ ... يُكفِّرُ الآخَرَ بالتَّعانُدِ
في سُورةِ العِمْرانِ آيٌ تَجْمَعُ ... أشْيَاءَ من غيرِ الوفاقِ تَمنَعُ
أوَّلُها تعليقُ الارتدادِ ... بطاعةِ الأشْرارِ في الفَسَادِ(٣)
صدُّ العبادِ عن فضيلةِ الوفاقِ ... ذاكَ هو الثَّاني فَخَفْ من النِّفاقِ(٤)

(١) في الهامش الأيمن: وحق المقتول إذهاب رأس ماله وهو العمر حتى فاته عمل البر الذي كان يعلمه وزيادة المعرفة بالله والمعرفة بصفاته إلى غير ذلك. (هـ اللهم). (بَكُ ذاَ صح)

وحق القاتل حمله على قتل أخيه المؤمن حتى استوجب بذلك العذاب. (اللهم صل).

(٢) في الهامش الأيسر: لقطعها عن نزلت عليه رأس السع(؟؟).

(٣) في الهامش الأيمن: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لعلكم تَهْتَدُون﴾ (آل عمران: ١٠٠-١٠٣). ومثله في الهامش الأيسر.

(٤) في الهامش الأيسر: وذلك أن الممتنع عن الصلح الدائم على الشقاق والخلاف، شبه نفس بساس بن قيس اليهودي الذي مرَّ على نفرٍ من الأوس والخزرج؛ فغاظه تآلفهم وذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والقصة مشهورة، ووجه الشبه كون الراغب إلى اختلاف المؤمنين الممتنع عن الصلح والوفاق ومثل ذلك اليهودي في كراهته تآلفهم واجتماعهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ (آل عمران:١٠٣).

لِجَعْلِهِ كُفْرًا لِلاسْتِعْظامِ(١) … الثَّالِثُ الرَّابِعُ باسْتِفْهامِ
حَضُّ عِبادِهِ على اعْتِصامِ(٢) … بِحَبْلِهِ خامِسُ ذي الأَقْسامِ
ونَهْيُ الافْتِراقِ بِالتَّصْريحِ … سادِسُها وقَبْلُ بِالتَّلْويحِ(٣)
السَّابِعُ: الأَمْرُ بِالادِّكارِ … بِنِعْمَةِ الوِفاقِ لا النِّفارِ
بِفَضْلِهِ نَهَى عَنِ التَّنازُعِ … لِسَدِّ الافْتِراقِ والتَّقاطُعِ
إذْ جاءَ فيها اللَّحْنُ مِن حَليمِ … والخَتْمُ ثَمَّ الطَّبْعُ مِن رَحيمِ(٤)
يَقولُ في الأنْفالِ لِلإرْشادِ … "ولا تَنازَعُوا" فَجَلَّ الهادِ(٥)
نُذَكِّرُ الوُلاةَ آيَةً نَعَتْ … عَلى وُلاةٍ أفْسَدَتْ وخالَفَتْ

[ورقة:١٤/٢٤]

هِيَ الَّتي في سُورَةِ القِتالِ … "فَهَلْ عَسَيْتُمْ" اسْمَعُوا مَقالي(٦)
مِنْ أجْلِ قُبْحِ الاخْتِلافِ والفِتَنْ … مِنَ الوُلاةِ شُدِّدَتْ بِلا وَهَنْ
بِقُبْحِ اخْتِلافٍ تَكْثُرُ النِّقَمْ … ويَمْنَعُ الرَّحْمَةَ مَنْ يُولي النِّعَمْ
إذْ في الحَديثِ مَنْعُ ذي الشَّحْناءِ … مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمنِ ذي النَّعْماءِ(٧)
لَوْ لَمْ يَكُنْ في مَنْعِ الاقْتِتالِ … سِوَى حَديثِ سَيِّدِ الرِّجالِ
عَلَيْهِ أفْضَلُ صَلاةِ اللَّهِ … مَعَ سَلامِهِ بِلا تَناهِ

(١) في الهامش الأيمن: وهو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ (هو).

(٢) في الهامش الأيمن: وهو قوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا".

(٣) كتب بخط صغير فوق هذا السطر: وهو قوله تعالى: ﴿ولا تفرَّقوا﴾، وقد أشار بقوله: "وقبلُ بالتَّلويح" إلى أنَّ الأمور الستَّة المذكورة في هذه الآية، جميعها بالتَّلويح وليس بالتصريح ما عدا السادسة التي هي بالأمر الصريح.

(٤) كتب فوق هذا البيت: "أم على قلوبٍ أقفالها".

(٥) كتب بين السطور: ﴿فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

(٦) في الهامش الأيمن (باتجاه مقلوب): إن توليتم: قال بعض المفسرين هو من الولاية، ويؤيده قراءة على بن أبي طالب (رضي الله عنه) إن تُوُلِّيتم -بضم التاء- والواو وعسى اللام بالبناء للمفعول. قال الفراء: يقول الله فهل عسيتم إن توليتم أمر الناس وصرتم ولاةً عليهم أن تفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء التي تسخط الله تعالى وتغضبه أشد غضبة على فاعله وتكونوا في غاية الجرأة عليه وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام وتقطعوا تقطيعا كثيرًا أرحامكم (حتى) تعودوا إلى أمر الجاهلية في الإغارة من بعض على بعض وغير ذلك. قال قتادة: كيف رأيتم القوم تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن. (هـ). (ينظر: تفسير البغوي "معالم التنزيل"، بتحقيق: محمد عبد الله العز، (دار طيبة: السعودية)، ٧/٢٨٧.

(٧) في الهامش الأيسر: روى مسلم عن أبي هريرة: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيكفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا".انتهى. أي: يقول الله للملائكة النازلة بالمغفرة: امهلوا هذين حتى يصطلحا. يعني: لا تعطوا منها نصيبا، والرجلين اللذين بينهما عداوة حتى ترفع ويقع بينهما (الصُّلح: منَّا) (رواه مسلم عن أبي هريرة، رقم:٢٥٦٥)، وقال الألباني: صحيح، كتاب غاية المرام، رقم:٤١٢).

دوامُ عـزِّه ولا تـحـاسَـدوا ولاَ تـقـاطَـعُـوا ولا تـدابَـرُوا ولاَ
لـكـانَ يـكـفـي كـيـفَ والـجـبَّـارُ قـدْ شـدَّدَ فـي ذاك ويُـردي مـن جَـحَـدْ
وسَـدَّ بـاب الاخـتـلاف إذْ مَـنَـعْ نَـمِـيـمَـةً لأجـل إفـسـادٍ يـقَـعْ

وقال جلَّ جلاله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ١١﴾[١]، وقال (ﷺ): "الهمَّازون اللَّمازون المشَّاؤون بالنَّميمة الباغون للبُرَآء العيبَ، يحشرهم الله في وجوه الكلاب"[٢]، وقال (ﷺ): «مِنْ شرِّ النّاس ذو الوجْهَين يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ»، ومن كان ذا اللِّسانَين في الدُّنيا فإنَّ الله يجعل له يوم القيامة لسانَين من النَّار[٣]. هذه الأحاديث رواه البخاري وغيره.

أجـلْ لـذا نـهـى عـن اسْـتـمـاعِ أخـبـارِ ذي الـفِـسْـق بـلا نِـزاعِ

وإذا أتاك إنسانٌ فأخبرك أنَّ فلانًا فعل كذا أو قال كذا؛ فعليك بستَّة أشياء: أوَّلها أن لا تصدِّقه؛ لأنَّ النَّمام فاسقٌ مردودُ الشَّهادة.قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ٦﴾[٤]، والثاني أن تنهاه وتنصح وتقبِّح فعله؛ لأنَّ النَّهي عن المنكر واجبٌ. قال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ١٧﴾[٥]، والثَّالث أن تبغضه في الله؛ لأنَّه عاصٍ بغيض عند الله وبغض البغيض واجبٌ، والرَّابع أن لا تظنَّ بأخيك الغائب ظنَّ السوء فإنَّ إساءة الظَّنِّ بالمسلم حرام. قال تعالى: ﴿بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ١٢﴾[٦]، والخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التَّجسيس والبحث. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ ١٢﴾[٧]، والسَّادس أن لا ترضى لنفسك أن لا تنهى النَّمام ولا تَحْكِ نميمته فتكون نمَّامًا.

[ورقة:١٥/٢٤]

قـد أَمَـرَ الإلـهُ بـاتِّـقـاء فِـتْـنَـةِ الافْـتِـراق واعْـتِـداء[٨]
سُـبْـحـانَ مـن أوقَـعَ الاخـتـلافَ وجـعـلَ الـصُّـلـحَ والائـتـلاَفَ
طـهـارةً مُـنْـجِـيـةً لِّـمَـنْ رَجَـعْ لـلـصُّـلْـحِ صَـوْنًـا لـلـدِّمـا ولا امـتَـنَـعْ
وأوجَـبَ الله عـلـى الـعِـبـادِ إصـلاحَ ذاتِ الـبَـيْـنِ نِـعـمَ الـهـادي
آيـةُ "لا خَيْرَ" تَـدُلُّـنـا عـلـى فـضـيـلـةِ الإصـلاحِ عِـنْـدَهُ عَـلا[٩]

(١) سورة القلم: ١١.
(٢) رواه العلاء بن الحارث، كتاب الترغيب والترهيب، ٦/٤، وهو حديث معضل، وفي ضعيف الترغيب للألباني، رقم:١٦٧٧، وقال: ضعيف.
(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة، (رقم:٧١٧٩)، ومسلم (رقم:٢٥٢٦).
(٤) سورة الحجرات: ٦.
(٥) سورة لقمان: ١٧، وقد كرَّر سهوا من قوله: «واجب» حتى نهاية الآية.
(٦) سورة الحجرات: ١٢.
(٧) سورة الحجرات: ١٢.
(٨) يريد قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾ (النساء: ٨٥).
(٩) كتب فوق هذا السطر بخط رفيع: وقال: واتقوا الله.

آيـــةُ "مَن يَّشْفَع" كَـفَـتْ لـلـعـاقـلِ[1] فـي آيــة الأنـــفـــالِ زَجْــرُ الـغـافـلِ
نـعـنـي بـتـلـك "فاتَّقُوا الله وأصْــلِحُوا" وهـذا الأمـرُ بـالإيـجـابِ نَـصّْ[2]
انـظُـرْ –هـــداكَ الله- كـيـفَ أكَّـدَا وُجُـــوبَ الإصــــــلاح وكـيـف هـــدَّدَا
لأمْــــــــرِه عـــبـــادَهُ بـالــتَّـقـوى[3] وبـعـدهـا الإصـــــلاحُ كـي لا يُـهْـوَى
لــــذاك أكَّــــــدَ بـــأمـــرِ طـاعـتـهْ وطــاعــةِ الــرَّســـولِ فـي هـدايـتـه[4]
هـــدَّدَ كـــلَّ غـــافـــلٍ وقــــال: "إنْ كُنتم" كـفـى ذا زاجـــرًا لـمـن فـطِـنْ
يـا طـالـبَ الـنَّـجـاةِ والـرِّضــوانِ ورحــمـــةِ الـمـهـيْـمِـنِ الـرَّحْـمَـنِ

[ورقة:١٦/ ٢٤]

قـــولُ إلـــهـــنـــا "وإنْ طائفتَين" كـفـى دلـيـلاً مُـنـتـهـاهُ الآيَـتَـيـن[5]
سُـبـحـان مَــنْ أكَّـد فـي هـذا الـمـحَـلْ وُجـــوبَـــهُ وحـضَّـنـا عـلـى الـعـمَـلْ
طـهَّـرَهُـمْ مـن عـلَّـةِ الـكُـفـرانِ حـضًّـا عـلـى الإصـــلاحِ لا الـعُـدْوانِ
يـكـفـي ذوي الـفَـهْـمِ وُرودُ افـتـعَـلْ إذْ فِـعـلُ مـؤمِـنٍ خـلافُ ذا الـعَـمَـلْ[6]

(١) كتب في الهامش العلوي (باتجاه مقلوب): وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ على أحد التفاسير، وقال ابن زيد: أريد أراد بالفتنة فتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا. (الآية في سورة الأنفال: ٢٥).

هذه الفقرة من التبر المسبوك، ولكن لم نجد لها موضعًا ملائمًا في النص هنا، والجملة الآتية بين القوسين غير موجود في أصل المخطوط. (للعاقل أربع علامات يعرف بها وهي أن يتجاوز عن ذنب من ظلمه، وأن يتواضع لمن دونه، وأن يسابق إلى فعل) الخير لمن هو أعلى منه وأن يذكر ربه دائما، وأن يتكلم عن العلم وأن يعلم منفعة الكلام في موضعه، وإذا وقع في شدَّة التجأ إلى الله تعالى، وكذلك الجاهل له علامات، وهي: أن يجور على الناس ويظلمهم ويعسف بمن دونه، وأن يتكبَّر على الزعماء والمتقدمين، وأن يتكلم بغير علم، وأن يسكت عن الخطأ، وإذا وقع في شدَّة أهلك نفسه، وإذا رأى أعمال الخيرات لفت عنها وجهه. حكمة قال سعيد بن جبير: أرأيت للإنسان أشرف من العقل إن انكسر صحَّحه، وإن وقع أقامه وإن ذل أعزَّه، وإن سقط في هواه حدث بصنعته واستنقذه وإن افتقر أغناه" (هـ) اللهم اغفر لي ولوالدي.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ (النساء: ١١٤).

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١).

(٤) كتب فوق هذا السطر بخط رفيع: وقال: "وأطيعوا الله وأطيعو الرسول"

(٥) وقال في "السراج المنير" في هاتين الآيتين دليلٌ على أن البغي لا يُزيل اسم الإيمان؛ لأنَّ الله سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، يدل عليها ما روي عن علي بن أبي طالب سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا من الشَّر فرُّوا، فقيل منافقون هم؟ قال: لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. (ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشيخ الإمام الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٨٥هـ، ٤/٦٦).

(٦) لأنَّ الافتعال للأعمال بما تشتهيه النفس إذ هي تنكمش في الشر دون الخير ولهذا قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ (آية:٢٨٦)، وخص الخير بالكسب والشَّر بالاكتساب، والمراد في هذا المحل قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ (هـ. صح).

نـعـنـي بـهـا إنَّ ذا الإيـمـان ... سـلاحُـهُ لـكـلِّ ذي كُـفـران
انـظـرْ هـداكَ اللهُ كـيـفَ كُـرِّرتْ ... لَـفْـظَـةُ أصْـلِـحُـوا وكـيـفَ قُـرِّرَتْ

وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾ ﴾ ثم قال: ﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ ﴿٩﴾ ﴾، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿١٠﴾ ﴾، وانظر كيف كرَّر «فأصلحوا بين أخويكم» ثلاث مرَّات، في موضع واحد، وذلك كلُّه لشدَّة اعتنائه بعباده ومحبَّته اجتماعهم وكراهته اختلافهم، ولذلك قال: «فأصلحوا بين أخويكم» أي من الدين كما تصلحوا بين أخوَيْكُم من النَّسب، وانظر كيف وضع الظَّاهر موضع المضمر مضافًا إلى المأمور مبالغةً في التَّقدير والتَّخصيص، ثم بعده أمرهم بالتَّقوى وقال: واتَّقوا اللهَ الملك الأعظم في مخالفة أمره والإهمال فيه، وانظر -هداك الله- هذا التَّهديد العظيم، وانظرْ قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ أي لتكونوا إذا فعلتم الإصلاح على رجاء عند أنفسكم؛ أن يرحمكمْ ويكرمكم اللهُ الذي لا قادرَ على الإكرام في الحقيقةِ غيرُه بأنواع الكرَاماتِ، كما رحمتم إخوانَكُم بإصلاح ذاتِ بينهمْ وأكرَمْتموهم بردِّهم عن إفسَادِ ذاتِ البَين. (اللهم).

نَـفَّـرَ عـن قِـتَـالِ ذي الإيـمـانِ ... جـمـعُ أحَـاديـثٍ بـلا بُـهـتـانِ

ومنها: «إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما فالقاتل والمقتول في النَّار»[١]. كما تقدَّم، ومنها: «من حمل علينا السِّلاح فليس منَّا»[٢].

ومنها: "الفتنة تلقح بالنَّجوى، وتنتج بالشَّكوى فلا تثيروها إذا خمَدَتْ، ولا تتعرَّضوا لها إذا عرضت. إنَّ الفتنة راتعةٌ في بلاد الله تطافئُ خطامها فلا يحلُّ لأحدٍ أن يأخذ بخطامها» قاله ثلاث مرَّاتٍ، و«الفتنة نائمةٌ لعن الله من أيقظها»[٣].

ومنها ما ورد عن ابن مسعود قال: "قلت يا رسول الله فما تأمرني إنْ أدركتُ ذلك؟ قال: كُفَّ يديك ولسانَك وادخُلْ دارَك. قلتُ يا رسول الله: أرأيتَ إن دخل عليَّ داري؟ قال: فادخلْ بيْتَك! قال: فإن دخل عليَّ بيتي؟ قال: فادخلْ مَسْجِدَك، (واصْنَع هكذا، وقبض بيمينه) بيمينك على الكوع وقل ربِّي الله حتى تموت على ذلك»[٤]. اللهم اغفر.

مِـنْ جُـمْـلَـةِ الـتَّـأكـيـدِ أمـرُ الـعـدْلِ ... بـالـعَـدْلِ فـي الإصـلاحِ دونَ الـمَـيْـلِ
أكَّـدَ أمْـرَ الـعـدْلِ بـالـتَّـكـرار ... قـال: "وأقسطوا" تـعـالـى الـبَـار
أخـبـرَنـا اعْـتِـنـاءَهُ بـالـمـقْـسِـطِ ... فـيـهِ مـؤكِّـدًا بـدونِ الـمـخْـلـطِ[٥]

(١) رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث، صحيح البخاري (رقم:٦٨٧٥)، ومسلم (رقم:٢٨٨٨).

(٢) رواه عبد الله بن عمر، صحيح البخاري (رقم:٦٨٧٤)، ومسلم، (رقم:٩٨).

(٣) رواه أبو الدرداء، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١٠٧/٦، والحديث تفرَّد به سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية.

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣٠٥/٧، بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، وفي مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر، ١٤١/٦، إسناده ضعيف.

(٥) في الهامش أسفل الورقة: بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ ترغيبًا على أنه من أعظم ما يتمادح به (وعلى عن!) لعله يقول إنه لا يلزم نفسه الوقوف عنده إلا ضعيف. انتهى.

[ورقة:١٧/ ٢٤]

لشِدَّةِ التَّوكيدِ قال "إنَّما ... المؤمنونَ إخوةٌ" لِتَعلَما
مزيدَ قُبْحِ الاختلافِ والفِتَنْ ... بينَ ذوي الإيمانِ من أجلِ الضِّغَنْ
وحصرُ هذه الأخوَّةِ بِمَنْ ... آمنَ مانعٌ من إيقاعِ الفِتَنْ
مَنْ أدركَ الإيمانَ أي أعلاهُ ... وذاقَ مِنْ شرابِهِ أَحْلاهُ
نَهَّضَهُ إجْلالُ ذي الجلالِ ... لحبِّ مؤمنٍ بذي الجمالِ
وكيفَ لا يحبُّ مَن سَمَّاهُ ... أخاهُ خالقُ الورَى مَولاهُ؟!
نَعَمْ؛ لأنَّ الدِّينَ مثلُ الوالدِ ... لكلِّ شخصٍ مؤمنٍ بالواحدِ[1]
أخوَّةُ الإيمانِ بالوَهَّابِ ... أشرفُ من أخوَّةِ الأنْسابِ[2]
خُلَّةُ الإيمانِ للاتِّصالِ ... وَخُلَّةُ الأنْسابِ لانْفِصالِ
والمؤمنونَ مثلُ جسمٍ واحدٍ ... ومثلُ بُنيانٍ لأجلِ الماجدِ
هذا هوَ المذكورُ في القُرآنِ ... يُدرِكُهُ مَنْ كانَ ذا عِرفانِ
في سورةِ البَقَرَةِ "تَقتُلونَ ... أنفُسَكُم" قبلَ "وتُخرِجُونَ"[3]
أنفُسَكُم عندَ ذوي التَّحقيقِ ... إخوانُكُم في الدِّينِ والتَّصديقِ
صيَّرَ قاتلاً أخَ الإيمانِ ... قاتلَ نَفْسِهِ بلا نُقصانِ
"لا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ" قد فسَّرُوا ... بلا تَعيبُوا بعضَكُمْ وَوَقِّرُوا[4]
حتى غدَتْ صِحَّةُ ما هنا ذُكِرْ ... كالشَّمْسِ في ظَهيرةٍ لِذي نَظَرْ[5]
وفي الحديثِ: "المؤمنون كالجَسَدْ" ... وجاءَ "كالبُنْيانِ" هكذا وَرَدْ[6]
انظرْ أخي هل يقطَعُ اليَقظانُ ... أعضاءَهُ كلاَّ ولا السَّكْرانُ

(١) ورد هذا البيت استدراكا في الحاشية، وفي المتن: ورد كان قد ورد في محلِّه قوله: "نعمْ؛ لأنَّ الدِّين بالوهَّابِ أشرفُ من أخوَّة الأنسابِ". وواضحٌ أنَّ هذا البيت خطأ كتابيٌّ؛ إذ أخذ طَرفًا من صدر البيت الذي قبله، وكلمةً من صدر البيت بعده، وأخذ كذلك عجزه كلَّه، ولأجل ذلك حذفناه.

(٢) في الهامش الأيسر: لانقطاع أخوة النسب باختلاف الدين، بخلاف أخوَّة الدين لأنها دائمةٌ باقية أبدا؛ لذا قلت: الإيمان، البيت. وقال الله سبحانه في سورة النور: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ (آية: ١٢) انظر يا أخي كيف جعل مولانا جميع المؤمنين نفسا واحدة. اللهم.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٨٥)

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١)

(٥) قبل هذا البيت ورد في الهامش: حَقِن ما قلنا فَلَولاَ إذْ سمعْ ××× تُموهُ ظنَّ المؤمنون أقبِل تُطِعْ. لكن يبدو أنَّه ليس من المنظومة.

(٦) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري، قال: "المؤمن للمؤمن كالبُنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا، وشبَّك بين أصابعه"، (رقم:٢٤٤٦)، وصحيح مسلم (رقم:٢٥٨٥). والحديث الآخر: "مثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطُفهم كمثَل الجسد الواحد..." الحديث. مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٨، وهو صحيح.

بل لا ترى مَنْ كان ذا عِرْفانِ ... يُوجِعُ نفسَهُ على العُدْوانِ
يا عاذلي حُقَّ لكلِّ مَن عَلِمْ ... كلَّ الذي علمْتُه بكاءُ دَمْ
نبكي لأنَّ زلَّةً للعالِمِ ... كما علمتَ زلَّةٌ للعالَمِ

[ورقة:١٨/٢٤]

انظرْ أخي إن اشْتَكَى بعضُ الجسَدْ ... فالبعضُ هل يبْقَى بلا نَيْلِ الكَمَدْ؟

ومعنى البيتين: لما ثبت كونهم كالجسد الواحد، ومن لازم الجسد كما في الحديث أنَّه لا يشتكي عضو منه إلا وصل الضَّرر لجميع الجسد في السَّهر والحمَّى، توجَّعتُ وتألَّمتُ لما نزل على إخواني المؤمنين لكوني من جملة الأعضاء؛ لأن الجسد الواحد إذ قطع منه عضوٌ، ولم يحصُل للجسَدِ وجعٌ ولا ألمٌ، يدلُّ ذلك على موته وذهاب الرُّوح منه؛ فكذلك إذا وقع المؤمنون في بليَّةٍ ومصيبةٍ وسلِمَ مؤمنٌ من المؤمنين من تلك البليَّة، ولم يحصل له وجعٌ ولا ألمٌ دلَّ على أنَّ إيمانه اسمٌ من غير مسمَّى؛ لأن الجسد الواحد إذا اشتكى عضوٌ منه لا يكون لذلك العضو السَّهر والحمى ولغيره النَّوم والرَّاحة، وإذا كان الأمر كما ذُكر؛ فالواجبُ على كلِّ مؤمنٍ في هذه النَّازلة إظهار الحزن والكراهة، وعدم الرِّضى والفرح بها ظاهرا وباطنًا، ورفع اليدَين بالذُّل والانكسار والاضطرار إلى الله تعالى بقلبٍ خاشعٍ حاضرٍ أن يزيلها ويرفعها بفضله.

وأمَّا إظهار الفرح والسُّرور والمحبَّة للذي انتصر على الآخر، فلا يفعله إلا من لا عقل له، ولا معرفة ولا يغترُّ به إلا من هو أحمق منه؛ لأنَّ الأوَّل الذي أظهر الفرح والسُّرور للذي انتصَرَ لو كان عاقلاً لَعَلِمَ ما أصابَهُ من المصيبة والبلاء؛ لأنَّه هو والمجروحين والمقتولين والمأسورين كالجسد الواحد كما جاء في القرآن والحديث، والجسد لا يرضى صاحبُه ولا يفرح ولا يُسرُّ بالجراح عضو منه أو انقطاعه.

وأما الثَّاني، فلأنَّه لو لم يكن أحمق منه لما يغترُّ بفرح مَنْ كان حاله ما ذكر؛ لما علم أنَّ الإنسان لا يحبُّ من يقطع أعضاءه، ومع ذلك المنتصرُ بنفسه مُصابٌ؛ لكونه هو أيضًا من جملة الجسد، فكيف يظهر له الإنسانُ المحبَّة فيه لكونه قتل نفسه؟! بل فرحه غرورٌ لأجل أن ينال شيئًا من الحطام، وسيأتي هذا إن شاء الله آخر المنظومة.

خُلُوُّ مَنْ يقطعُ عضْوًا مِنْ ألَمْ ... دلَّ على فقدِ الحياةِ والعدَمْ
وكلُّ ما قدَّمتُ حاملٌ على ... صُلحٍ وإصلاحٍ لمَنْ تأمَّلا
يا مَن أبَى عن فعل صُلحٍ وامْتَنَعْ ... والصُّلحُ خيرٌ قالَه مَن يُتَّبَعْ
كمْ نعمةٍ في الصُّلحِ والتَّوافُقِ ... وكمْ فضيلةٍ لذي التَّسابُقِ
من فضْلِه قطْعُ كلامِ النَّاسِ ... عنكمْ وتقليدُ أخِ الخَنَّاسِ
وغمَّنا والله شيءٌ نَسمَعُ ... في سائرِ الأقطارِ أينَ المفْزَعُ
أقْوالُهم تَنافَسَ الحَبْرانِ ... في المُلْكِ الدُّنيا على بُهتانِ[1]

(١) كتب بخط رفيع أسفل هذا البيت: والوصية والهلاك وذهاب الدين ودخول النار.

[ورقة:١٩/٢٤]

تَــقــاتَــلا وسَــفَــكــا دمَــا ... وأسَــــرا الأحــــرارَ اعْــتــدا

قــد حَــلَّــل الــجُــهــالُ والــظُّــلامُ ... بَــيْــعَ أنــاسِــكُــم كــذا الــحُــكَّـامُ

وقــولُــهُــمْ إنَّــهــمــا حَــبْــران ... وحَــلَّــلا ذلــك بــالــعِــرْفَــان

أقــول صَــوْنُ الــدِّيــنِ والــمــرُوَّهْ ... فــي الــصُّــلْــحِ ثــم غــايَــةُ الــفُــتُــوَّهْ

اصْــطَــلَــحــا قــبــلَ ذهــابِ الــعُــمْــرِ ... وســابِــقــا لــقَــطْــعِ هــذا الــوِزْرِ[1]

لــو لــم يــكُــنْ فــي الــصُّــلْــحِ غــيــرُ الأمْــنِ ... وراحَــةِ الــنَّــاسِ وفَــقْــدِ الــبَــيْــنِ

لاخْــتــارَهُ الــعــاقــلُ كــيــفَ والــصَّــلاحُ ... فــي الاتِّــفــاقِ وهْــوَ غــايــةُ الــفــلاحِ

هــذا الــذي دعَــا كــبــارَ الــنَّــاسِ ... إلــى قَــبُــولِ الــصُّــلْــحِ دُونَ الــبَــاسِ

لــقَــدْ كَــفــى صُــلْــحُ أبــي مــحــمَّــدٍ ... سِــبــطِ الــرَّســولِ أسْــوَةً لِــمــقْــتَــدي

عــلاَ مَ لا تَــفْــعَــلُ شــيــئًا يَــرضَــى ... عــنــكَ بــه الــرَّحْــمَــنُ حَــتَّــى تَــرضَــى

لا تَــغْــتَــرِرْ بِــقَــوْلَــةِ الــجُــهَّــالِ ... ووُزَراءِ الــسُّــوءِ والــعُــمَّــالِ

كــفــاكَ مــا عــلــمــتَ أنَّ قَــصْــدَهُــمْ ... تــحــصــيــلُ لَــذَّاتٍ وذاك سَــعْــيُــهُــم

مَــتَــى تَــعــدُّ عــاقــلاً شــخــصًــا فــرِحْ ... لِــقَــطْــعِ عُــضْــوٍ مِــنْــكُــمــا أو انْــشَــرحْ

تــاللّه لا يُــحِــبُّــكُــم مَــنْ يَــنْــشَــرِحْ ... لِــقَــطْــعِ عــضْــوٍ مــنــكــمَــا ويــتَّــضِــحْ

في الهامش الأيسر:

قال الغزاليُّ في "المسبوك"، قال: "إنَّ شرَّ الوزراء من جرَّأ السُّلطان على الحرب وأجرأه على القتال (في الأصل: قطال) في موضعٍ يمكن أن ينصلح الحال فيه بغير حرب؛ لأنَّ الحرب في سائر الأحوال تفني دخائر الأموال، وفيها تبذل كرائم النُّفوس، ومَصُونات الأرواح"، وقال أيضًا: «كل ملكٍ كان له وزيرٌ جاهلٌ مَثَلُه كمَثَل الغيم الذي يبدُو ويظهر ولا يندي ولا يمطر"[2]، وفي كتاب "وصايا زين الحكماء": كلُّ أمرٍ ينقضي على يد غيرك بلا حربٍ ولا خشونة، فهو خير ممَّا تقضيه بيدك بالحرب والغصب، والعلماء يضربون هذا المثل فيقولون: ينبغي أن تمسك الحيَّة بيد غيرك لا بيدك، ويريدون الوزراء مهما أمكنَهُم أن يحاربوا بالكُتب فليحاربوا بها، فإنْ لم ينصلح شأنُ الأمور بالاحتيال والتَّدبير؛ فيَجْتَهِدُون في إصلاحها بإعطاء الأموال وبذل الصلات والنَّوال. انتهى.

تأمَّل هذا الكلام –رحمَكَ اللّه– بقلبٍ منوِّرٍ وعقل سليم من متابعة الهوى، ما أحسنه ينبغي لكلِّ والٍ العمل به. (هـ).

(١) جاء التعليق على هذا البيت في هامش الصفحة التالية، قال: أي سارعا إلى تبديل هذه السُّنة السيِّئة بالسُّنة الحسنة قال (خير) الملوك من بدل السُّنة السَّيئة بالسُّنة الحسنة وشر الملوك من بدل السُّنة الحسنة بالسُّنة السَّيئة. قال الغزالي في "التِّبر المسبوك". (هـ. اللهم). (التبر، ص٧٦).

(٢) التبر المسبوك، ص٨٦.

وفي الهامش الأيسر أيضًا:

وقال الغزاليُّ في "التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وينبغي للوالي أن يعلم أنَّه ليس أحدٌ أشدُّ غُبْنًا ممَّن باع دينه وآخرته بدنيا غيره، وجميع العُمَّال والغلمان لأجل نصيبهم من الدُّنيا يغرُّون الوالي، ويحبِّبُون الظُّلم عنده؛ فيلقونه في النَّار؛ ليَصِلُوا إلى أغْرَاضِهِمْ، وأيُّ عدوٍّ أشدُّ عداوةً ممَّن يسعى في إهلاكك (وهلاك نفسه) لأجل درهم حرام يكتسبه ويحصله"، وقال في موضع آخر: "إن كان مرادك أن يخدمك النَّاسُ فإنَّك جاهلٌ في صورة عاقلٍ؛ لأنَّك لو كُنْتَ عاقلاً؛ لعلمتَ أنَّ الذين يخدمونك إنَّما هم خدمٌ وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم، وإنَّهم قد جعلوا (خدمتهم وسجودَهُم لأنفُسهم، لا لك، وعلامة ذلك أنَّهم لو سمعوا إرجافًا بأنَّ الولاية تؤخذُ منك وتُعطى لسوَاك؛ لأعرضُوا بأجمعهم عنك، وفي أيِّ موضعٍ علموا) أنَّ الدِّرهم فيه خدموا لذلك الموضع وسجدوا له، (فعلى الحقيقة، ليست هذه خدمةً) ليستهان خدمة، وإنَّما هي ضحكة"[1]، والعاقل من نظر إلى حقائق الأمور.

وفي الهامش الأسفل:

وقال الغزالي في "التِّبر المسبوك": الأصل الثاني من ذلك أي ممَّا يكون سببًا للعول أن تشتاق أبدًا (إلى رؤية العلماء) إليها السُّلطان إلى علماء الدِّين وتحرص على استماع نصحهم، وأن تحذر من ورثة علماء السُّوء الذين يحرصون على الدُّنيا، فإنَّهم يثنون عليك ويغرُّونك ويطلبون رضاك طمعا فيما في يديك من خبيث الحطام، (وَوَبيل) ونيل الحرام؛ ليحصلوا منه شيئًا بالمكر والحيل، والعالم الصَّالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال، وينصفُك في الوعظ والمقال»، انتهى[2]. وقال في تبيين المحارم، قال عليه السَّلام: "أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء"[3]، وفي خبر: «وخيار الأمراءِ الذين يأتون العلماء، وشِرارُ العلماء الذين يأتون الأمَراء»[4]، "العلماء أُمناءُ الرُّسل على عباد الله، ما لم يخالطوا السُّلطان، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرُّسل، فاحذروهم" (رواه أنس)[5]. قال حذيفة: "إياكم ومواقع الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخلُ أحدُكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه"[6].

قال أبو ذر لسلمة رضي الله تعالى عنهما: "يا سلمة لا تَغْشَ أبواب السَّلاطين، فإنَّك لا تصيب من

---

(١) التبر المسبوك، ص٢٢-٢٣، مع تصرف طفيف، وقد وضعنا نصوص «التبر المسبوك» بين قوسين.

(٢) التبر المسبوك، ص١٨-١٩.

(٣) عن أبي هريرة، كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، ٥١/١، وفي إسناده ضعف، وفي ضعيف الجامع للألباني، (رقم:٢٤٦٠).

(٤) رواه الحافظ العراقي عن أبي هريرة، كتاب تخريج الإحياء، ٩٨/١، والسخاوي في الأجوبة المرضية، ٨٨٤/٢، والشوكاني في الفوائد المجموعة، رقم:٢٨٨، وإسناده ضعيف.

(٥) رواه ابن الجوزي في الموضوعات، ٤٣٠/١؛ والذهبي في ترتيب الموضوعات، ص٧٠، والحافظ العراقي في ذيل الميزان، ١٩٨/١. وفيه حفص الآبري، قال العقيلي: حفص كوفي، حديثه غير محفوظ.

(٦) الغزالي، أبو حامد محمد. إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، (إندونيسيا، مكتبة ومطبعة كرباطة فوترا – سماراغ، د.ت)، ١٤١/٢.

دنياهم شيئًا إلا أخذوا من دينك أفضل منه"، وقال الأوزاعيُّ: "ما من شخص أبغض إلى الله من عالِمٍ يزور عاملاً". قال عبادة بن الصامت: "حبُّ القارئ النَّاسك الأمراء نفاقٌ، وحبُّه الأغنياء رياءٌ"(١).

وقال ابن مسعود: "إنَّ الرَّجل ليدخل على السُّلطان ومعه دينه، فيخرج ولا دين له، وقيل له: ولمَ؟ قال: لأنَّه يرضيه بما يسخط الله"(٢).

وقال بعضهم: "إذا رأيتم عالمًا يختلف إلى الأمراء، فاعلَموا أنَّه لِصٌّ(٣)، وإذا رأيتم العالم يختلف إلى الأغنياء، فاعلموا أنَّه مُراءٍ"(٤).

وقال مكحول(٥): "من تعلَّم القرآن وتفقَّه في الدِّين، ثم أتى باب السُّلطان تملُّقا إليه وطمعًا بما في يده، خاض به في نار جهنَّم بعدد خطاه"(٦)، وقال الضحاك (بن مزاحم): "إنِّي لأتقلَّب اللَّيل كلَّها على فراشي (مفكِّرًا في) كلمة أرضي بها سلطاني ولا أسخط بها (ربِّي فلا أجدها)"(٧).

وقال بعض العلماء: "السّلطان دخولك على الملوك يدعوك إلى ثلاث: إيثارك رضاهم، وتعظيمك دنياهم، وتزكيتُك عملَهُم، فإن فعلت هؤلاء فقد هلكت"، هكذا في الإحياء. انتهى.

قلت: ومن كان حاله بين خيانة الرُّسل وغضب الله وبغضه، والنِّفاق والرِّياء واللُّصوصيَّة والهلاك وذهاب الدين، ودخول النَّار، كما تقدَّم في الأحاديث والأخبار، كيف تعتبر كلامه (وتصديقه وثناؤه) في فتوى ممن له أدنى عقل وأقلُّ تمييز؟!

[ورقة:٢٠/٢٤]

لأنَّ المقتولينَ مؤمنون، وكذا المأسورون، حيث كانوا مؤمنين فهم إخوانه وإخوانكما؛ لما ثبت أنَّ "المؤمنون إخوةٌ" وأنَّهم كالجسد الواحد، ومن يُظْهِر لك الفرح ومحبَّته فيك لكونك مقتولاً أو مأسورًا؛ لثبوت كون المؤمنين كالجسد الواحد، فكيف تعدُّه عاقلاً أو محبًّا لك؟ وإن لم يحزن على مصيبة المؤمنين فليس منهم، بل من أعدائكم، أنت وهم(٨).

---

(١) المصدر السابق، ٢/١٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سقطت كلمة «لص» من الأصل. أما حديث: «إذا رأيتم العالم يخالط الأمراء...»، فضعيف، رواه الديلمي في «مسند الفردوس» ٥/١، عن معاذ بن جبل مرفوعا، وفيه إبراهيم بن رستم، أورده الذهبي في الضعفاء، وقال ابن عدي: منكر الحديث، ومكحول لم يسمع من معاذ، عن أبي هريرة مرفوعا، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم:٢٠٢٦)، وضعيف الجامع (رقم:٥٠٠).

(٤) منسوب للفضيل بن عياض، قال: «إذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح لذكره بالصلاح عند الأمراء وأبناء الدُّنيا، فاعلموا أنَّه مُراء»، كتاب: تنبيه المغترين، ص٣١، عن: تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، سيد بن حسين العفاني، (القاهرة: دار العفاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص٥٢٩.

(٥) هو أبو عبد الله الدمشقي، توفي (١١٢هـ، أو ١١٣هـ).

(٦) كنز العمال، (رقم:٢٩٠٢٧).

(٧) كتاب: اللطائف والظرائف، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت، ص٣٠.

(٨) هنا تكرار لجملة «وسلم الكتاب إلى عبد الله بن مالك وسافر إليه فحين وصل» ولكن الناسخ شطبه بوضع خط عليه.

رُبَّ امرئٍ مُنتَسِبٍ للعِلْمِ	دَعاهُ حبُّ مالِكُمْ للكَتْمِ
حتَّى غدًا لِحُبِّ جمعِ المالِ	يُثْنِي عليْكُما بكُلِّ حالِ
ما راقبَ الجَليلَ حتّى ضرَّ	أخاهُ حينَ غشَّهُ وَغرَّ
والحمْدُ لله الذي ألْهَمَني	نُصْحَ عِبَادِه كَما علَّمَني
نَخْتِمُ بالصَّلاةِ والسَّلامِ	على الذي كُمِّلَ بالخِتَامِ

خاتمة:

ومن علوِّ همَّة الأكابِر ومروءتهم أنَّ من سعى بينهم بالإصلاح، ولو كان كاذبًا مزوِّرا على أحدهم في دعوى الإرسال إلى الأخير؛ لأنَّهم لا يخيبون رجاءه ولو علموا منه ذلك، ولو خاطر معهم لثقَّته بهم وبِفَضْلِهم. بل يبلِّغونه مناه ويسارعون إلى قضاء وَطَرِه. كما جاء في الحكاية.

حكاية: قيل إنَّه كان بين يحيى بن خالد البرمكيِّ وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوةٌ في السِّر ما كانا يُظهرانها، وكان سبب العداوة بينهما أن هارون الرَّشيد كان يحبُّ عبد الله إلى الغاية؛ بحيث كان يحيى بن خالد وأولاده يقولون إنَّ عبد الله يسحر أمير المؤمنين، حتى مضى على ذلك مدَّة من الزَّمان والحسد في قلوبهما، فولَّى الرَّشيد ولاية أرمينيَّة لعبد الله وسيَّره، ثم إنَّ رجلاً من أهل العراق كان له أدبٌ وذكاءٌ وفطنة؛ فضاق ما بيده وفنى ماله فزوَّر كتابًا عن يحيى إلى عبد الله بن مالك وسافر إليه فحين وصل (إليها قصد باب داره وسلَّم الكتاب إلى بعض حجَّابه فأخذ الحاجب الكتاب).

[ورقة:٢١/٢٤]

ففضَّه وقرأه وتدبَّره فعلم أنَّه مزوَّرٌ، فلما دخل الرَّجل وسلَّم عليه ودعا له، فقال عبد الله: احتَمَلتَ بُعد الشقَّة والطَّريق وجئت بكتابٍ مزوَّر، ولكنْ طبْ نفسًا، فإنَّنا لا نخيب سعيَك، فقال الرَّجل: أطال الله بقاء الأمير، إنْ كان قد ثقُل عليك وصولي؛ فلا تحتجَّ في منعي بحجَّة؛ فأرض الله واسعةٌ، والرَّزاق حيٌّ متين، والكتاب الذي أوصلته صحيحٌ غير مزوَّر، فقال عبد الله: أنا أعتمد معك أمرَين، وهما: أنِّي أكتب كتابًا إلى وكيلي ببغداذ وآمُرُه أن يسأل عن حال هذا الكتاب الذي أتيتَ به، فإن كان حقًّا، أعطيك إمارة بعض بلادي، وإن آثرتَ العطاء، أعطيتُك مائتَيْ ألف درهم مع الفرس والخلعة والتَّشريف، وإن كان كتابك مزوَّرًا؛ أمرتُ أن تضرب مائتي خشبة، وأن يحلق محاسنك، ثم أمر عبد الله أن يُجعَل في حجرة (الحبس)، وأن يجعل فيها ما يحتاج إليه، وكتب كتابًا إلى وكيله ببغداذ أنَّه قد وصل إليَّ رجلٌ ومعه كتابٌ من يحيى بن خالد، وأنا سيِّء الظَّن به، ويجب أن تتحقَّق هذا لحاله؛ لنعلم صدقَهُ من كذبه، وعرِّفني الجواب.

فلما وصل كتاب عبد الله إلى وكيله، ركب ومضى إلى باب دار يحيى فوجده مع نُدَمائه وخواصه جالسًا، فسلَّم الكتاب إليه فقرأه يحيى، ثم قال للوكيل: عُدْ إليَّ من الغد لأكْتُبَ لك الجواب، ثم التفت إلى ندمائه وقال: ما جَزَاءُ مَنْ يحمِلُ عَنِّي كتابًا (مزوَّرًا) إلى عدوِّي، فذكر كلُّ واحدٍ من النُّدماء شيئًا وجعل كلُّ إنسانٍ يعدِّد نوعًا من العقاب وجنسًا من العذاب، وقال لهم يحيى: لقد أخطأتم وهذا الذي ذكرتموه من خسة

الهمم، وكلُّكم تعرفون قرب عبد الله ودنوَّ محلّه من أمير المؤمنين، وتعلمون ما بيني وبينه من البغض، والآن قد سبَّب الله تعالى هذا الرَّجل وجعله متوسِّطًا في الصُّلح بيننا وقيَّضه ليَمْحُوَ من قلوبنا حقد عشرين سنة، وليُصلح بوساطته سوءاتنا، وقد وجب أن أُوفِيَ هَذَا الرَّجلَ بتأميله، وأصدِّق ظنونه، وأكتب له كتابًا (إلى) عبد الله؛ ليتوفَّر على إكرامه واعتزازه واحترامه.

فلما سمع النُّدماء ذلك، دعوا له بالخير، وتعجَّبوا من كرمه وسُمُوِّ همَّته، ثم طلب الدَّواة وكتب إلى عبد الله بخطِّ يده كتابًا في أوَّله:

بسم الله

[ورقة:٢٢/٢٤]

بسم الله[١] الرَّحمن الرحيم، وصل كتابُك –أطال الله بقاءك- فضضتُه وقرأته وسُررتُ بسلامتك وابْتَهجتُ باستقامتك، وكان ظنُّك أنَّ ذلك الرَّجل الحر زوَّر عنِّي كتابًا، ولفَّق عني خطابًا، وليس الأمر كذلك، فالكتاب أنا كتبتُهُ وعلى يده أنفذتُه، وليس بمزوَّرٍ عني وتوقعني من كَرَمِكَ وحسن شِيَمِكَ أن تفي لذلك الحرِّ الكريم بأمله وتعرف له حرمة قصده وتوصله، وأن تخصَّه منك بِغامِرِ الإحسان، ووافر الامتنان، ومهما فعلتَه في حفظ فأنا المعتمد به، والشَّاكر عليه.

ثم إنَّه عَنْوَنَ الكتاب، وختمه وسلَّمه إلى الوكيل وأنفذه الوكيل إلى عبد الله، فحين قرأه؛ ابتهج بما حواه، وأحضر الرَّجل وقال له: أيُّ الأمرَين اللَّذَين ذكرتهما لك تختار؟ فقال الرَّجل: العطاء أحَبُّ إليَّ، فأمر له عبد الله بمائتَي ألف ألف درهم، وعشرة أفراسٍ عربيَّة: خمسةٌ منها بالمركب المحلاَّة، وخمسة بالجلال، وعشرين تختار من الثِّياب وعشرة من المماليك ركاب الخيول، وما يلين بذلك من الجواهر الملوَّنة، وسرَّه صحبة رفقة مأمونة إلى بغداذ.

فلمَّا وصل إلى أهله، قصد باب يحيى بن خالد وطلب الإذن، فدخل الحاجب إلى يحيى وقال: يا مولاي بالباب رجلٌ ظاهر الحشْمَة، جميل الهيئة، حسن الحال، كثير الغلمان، فأذِنَ له في الدُّخول، فدخل عليه، فقبَّل الأرضَ بين يديه، فقال يحيى: ما أعرفُك، فقال: أنا الرَّجل كنت ميتًا من جَوْرِ الزَّمان، وغدر الحدثان، فأَنْشَرْتَني وأحييتَني. أنا الذي حملتُ الكتاب المزوَّر عنك إلى عبد الله بن مالك. قال له: وما الذي فعل بك وأيُّ شيءٍ أعطاك وَوَهَبَ لك؟ فقال: من بركة ظلِّك وكرامتك وهمَّتك وفضلك! أعطاني ونوَّلني وأغناني وقد حملتُ جميع عطيَّته وهاهي ببابك، والأمر إليك والحكم في يدك.

فقال له يحيى: صنيعُك معي أكثر من صنيعي بك، ولك عليَّ المنَّة العظيمة واليد الجسيمة؛ إذ بدَّلت العداوة التي بيننا وبين ذلك الرَّجل المحتشم بالصَّداقة، وأنت كنتَ السَّبب في ذلك، وأنا أَهَبُ لك من المال مثل ما وهب لك، ثم أمر له بمثل ما أعطاه

[ورقة:٢٣/٢٤]

عبد الله.

(١) "بسم الله" مكررة، ولعل الناسخ لم يرد أن يقطع آية البسملة.

ذكر الغزالي هذه الحكاية في "التِّبر المسبوك"، ثم قال: "وإنَّما أوردنا هذه الحكاية ليَعْلَم مَن يقرأ كتابنا هذا أنَّ الإنسان إذا كانت همَّته عاليةً، لا يضيع أبدًا. كما لا يضيع ذلك الرَّجل، ولو كان خسيس الطَّبع؛ لالْتَجأ إلى دنيٍّ وتعلَّق بلئام النَّاس، لكنَّه لما كانت له همَّة سامية، تهوَّر وأقدَم وخاطر مع رجل محتشم كريم الأخلاق، وظاهر الأعراق؛ فوصل بذلك التَّهوُّر إلى مراده وشفى غرض فؤادِهِ، وانظرْ إلى الرَّجلَين الكريمَين المحتشمَين، وإلى سموِّ همَّتهما، كيف عاملاه وبماذا قابلاه، ولم يَرَيا في مروءتهما عقوبته وعذابه، ونال ببركتهما طلاَّبه، وتخلَّص من شدَّة زمانه وضائقته، وأفلت من شرِّ محنته، وعاد ذا نعمة سَنيَّة"(١).

انتهى الحمد لله على التَّمام والكمال، والصَّلاة والسَّلام على من جُعِلَ ختامَ الأنبياء، وله حسن الختام. تمت.

الحمد لله وعونه والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه(٢). الحمد لله رب العالمين. آمين.

[ورقة:٢٤/٢٤]

(١) التبر المسبوك، ص٩٩-١٠١.

(٢) حذفت هنا كلمة: "على يدي"، ولعل معلومات الناسخ كانت مثبتة هنا ولم تكتب في هذه النسخة.

المراجع

- مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، د.ت)، ص٣٦٩-٣٧٠.
- المالكي، سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي، كتاب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٢م).
- تفسير البغوي «معالم التنزيل»، بتحقيق: محمد عبد الله العز، (دار طيبة: السعودية).
- الغزالي، أبو حامد محمد. إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، (إندونيسيا، مكتبة ومطبعة كرباطة فوترا – سماراغ، د.ت).
- سيد بن حسين العفاني. تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، (القاهرة: دار العفاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، اللطائف والظرائف، (بيروت: دار المناهل).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/١٩٨٨م).

A.O.F., Dakar 15G79, no.85. See: Hunwick, John. Arabic Literature of Africa, Vol.4.

Emile, Doucouray et Ibrahima Baba kake. Cheick Oumar Tall: Le Prophete arme, (Paris : CLE, 1975).

John H. Hanson, "Islam, Migration and the Political Economy of Meaning: Fergo Nioro from the Senegal River Valley, 1862-1890", The Journal of African History, Vol. 35, No. 1 (1994).

Hunt, Davis Jr. (ed), Encyclopedia of African History and Culture, Vol. 4.

Kaolack 94; Niamey 214; 2035; Paris (Bibliotheque Nationale) 5708, ff, 128r- 137v, 6101, ff 207v-208, (inc), Kaolak, 94; Sokoto (SHB), 866. London, Co. 267-324, 536.

[2] D. H. Bivar, African Language Review: The Arabic Calligraphy of West Africa, 1968.